جامعة الجزائر(بن يوسف بن خدة)

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ



مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخِ إفريقيا الحديث والمعاصر

إعداد الطالب :

الحواس غربي

إشراف الدكتور:

صابر شريف خالد

السنة الجامعية:

2008-2009م/1429-1430هـ

جامعة الجزائر(بن يوسف بن خدة)

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السيادة السعدية بالبلاد السودانية

1591–1660م

دراسة سياسية وعسكرية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر

إعداد الطالب :

الحواس غربي

أعضاء اللجنة المناقشة:

ـ أ.د/ عمار بن خروف رئيسا

ـ د/ صابر شريف خالد مقررا

ـ د/ محمد العربي معريش عضوا

ـ أ. د/ مختار حساني عضوا

السنة الجامعية:

2008–2009م/1429–1430هـ

بسم الله الرّحمن الرحيم

قال الله تعالى:

{وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ والشهادة فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ }

الآية :105 من سورة التوبة

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذه إلى:...

إلى والديا العزيزين(إبراهيم و عائشة) حفظهما الله، الذين مازلت أشق طريقي بفضل دعواتهما.

و كل إخوتي وأخواتي الأعزاء(فتيحة، فاطنة، السعدية، الجوال إسماعيل، حنان، الشبل عبد الجبار، ومحمد الأمين) الذين آزروني وشجّعوني وتحمّلوا عنائي طوال مدّة البحث.

إلى شهداء الوطن الذين اخلصوا و ضحوا من اجل تحرير الجزائر

إلى الذي إذا علمك حرفا صرت له عبدا معلمي عبد العزيز جايلي

إلى زملائي قادة فوج السلام بالكشافة الإسلامية الجزائرية، وجمعية قدماء الكشافة الإسلامية الجزائرية وبراعمها (الأشبال. الكشاف، الجوالة)

إلى زملائي أعضاء جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة

إلى كل سكان بلديتي بـ: حدار الشيوخ

إلى كل زملائي في التخصص

إلى كل طلبة العلم الصادقين

إلى كل من يقرأ هذا البحث......

أهدي ثمرة جهدي...

الحوّاس غربي

شكر وعرفان

الحمد والشكر لله رب العالمين على كل حال.

أتوجّه بالشكر والعرفان إلى الدكتور المشرف صابر شريف خالد على توجيهاته العلمية، التي سرت عليها إلى غاية اللحظة.

أتقدّم بالشكر الجزيل والعرفان إلى الدكتور عبد القادر زبادية على روحه العلمية العالية والذي زرع فينا بذرة حب البحث الحقيقي.

وإلى كل أساتذة التخصص على المجهودات والنصائح المقدمة : الدكتور بن يوسف تلمساني الدكتور منصف بكاي، الدكتور بن خروف عمار، والدكتورة غطاس عائشة.

شكرا للجميع.......

•الحوّاس غـربي•

مقدمـــة:

ظلت معرفة العالم الخارجي لقارة إفريقيا ضئيلة، حتى القرن التاسع عشر، حين بدأ يتساءل الكثيرون: هل لإفريقيا تاريخ؟.

فقد كان الأوربيون يعتقدون، أن إفريقيا لا تاريخ ولا ماض لها، وأن الزنوج شعب بلا تاريخ. لذا أطلقوا على القارة الإفريقية اسم القارة المظلمة أو السوداء. وقد قال الفيلسوف الإنجليزي ديفيد هيوم أن إنسان إفريقيا لا يملك شيئا من الصناعات والفنون، وأنكر الفيلسوف الألماني هيغل وجود حضارات في إفريقيا، وأنها ليست جزءا من العالم الحضاري.

وقد لخص د.كوامي نكروما هذا الحكم على إفريقيا حين قال:"...إن الأسطورة الأساسية لكل الأساطير التي أحاطت بإفريقيا؛ هي رفض الاعتراف بماضيها الخاص ويزعم الأوربيون أن إفريقيا ظلت خاضعة للركود في حين أن القارات الأخرى تصنع التاريخ. ويزعمون كذلك أن إفريقيا لم تدخل مسرح التاريخ إلا بفضل التدخل الأوربي وهكذا فإن تاريخها لا يعتبر في أغلب الأحيان إلا امتداد للتاريخ الأوربي..."(1).

وانطلاقا من هذا وقع اهتمامي على الدراسات الإفريقية، ومن ثمة البحث في هذه المذكرة على إشكالية الوجود المغربي السعدي في بلاد السودان، خلال الفترة الحديثة(1591-1893م). وتنحصر الدراسة في جانبين هما:

السيادة السعدية بالبلاد السودانية(1591-1660م) في جانبيها:السياسي والعسكري.

ويعود اختياري لهذا الموضوع لعدّة اعتبارات يمكن إيجازها فيما يلي:

أولا: أن هذا الموضوع يعتبر حلقة بحث في سلسلة التاريخ الغامض لإفريقيا جنوب الصحراء، ولابدّ من دراسته، اعتمادا على منهج تحليلي نقدي واستنباطي.

ثانيــا: أنّ هذه الفترة يقال عنها الكثير، منها ما ذكره Bovil:"...أنّ قصة الغزو المراكشي مازالت من أحلك الفصول سواد في تاريخ القارة...". حيث وجدنا أن تاريخ بلاد السودان توقف عند سنة1591م(تاريخ الحملة)، في أغلب المؤلفات التاريخية، تجنبا من غموض

---

(1) أحمد إبراهيم دياب، **لمحات من التاريخ الإفريقي**، المكتبة العربية السعودية، الرياض، ط1، 1981م ص23.

تاريخ المرحلة التالية. فموضوعنا يندرج ضمن المواضيع، التي ينادى بدراستها، لإنقـــاذ تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء خلال القرنين17م و18م.

ثالثا: أن البحث في مثل هذه المواضيع الشائكة، ليس بالأمر اليسير، تفرض على الباحث الحرص والفطنة والجهد العلمي المضاعف، وهذا ما قصدناه، لنفرض على أنفسنا جهـــدا مضاعفا.

رابعا: عدم قناعتنا، بالأحكام المسبّقة على الموضوع، دفعنا للبحث فيه، انطلاقا من الأسئلة التالية: هل الوجود المغربي السعدي ببلاد السودان؛ فتح أم غزو، البحث عـــن مـــصادر الذهب أم احتكار تجارة الملح، إنقاذ المنطقة أم محاولة تجديد الإسلام بها؟.

خامـــسا: وخلاصة هذه الأسباب والدوافع، هي الرغبة في دراسة هذا الموضوع من زوايا متميزة، لم تتطرق لها الدراسات السابقة.

لهذه الأسباب وغيرها، وقع اختياري على بحث موضـــوع الـــسيادة الـــسعدية بـــبلاد السودان النيجيري(1591-1660م)، وأملي أن تساهم هذه الدراسة في إضـــافات علميـــة جديدة لتاريخ وحضارة إفريقيا جنوب الصحراء.

وتمثّلت إشكالية الموضوع في الإجابة علـــى التـــساؤلات، التـــي مـــازال يطرحهـــا المؤرخون والباحثون منها:

ـ ما هو موقف السودانيين من الحملة السعدية؟. وما هـــي نتائجهـــا وتأثيراتهـــا علـــى المنطقة؟.

ـ ما موقع الحملة المغربية السعدية1591م على مملكة سنغاي، من المصطلحات الآتية: فتح أم غزو، البحث عن مصادر الذهب أم احتكار تجارة الملح، إنقاذ المنطقة أم محاولـــة تجديد الإسلام بها؟.

أما الإطار المكاني والزماني للموضوع، فينحصر في السودان النيجيـــري؛ أي تلـــك المنطقة الممتدة بين نهر السنغال غربا، وبحيرة تشاد شرقا. والتي شهدت قيام أكبر هيمنة سياسية جنوب الصحراء. أمّا فترة البحث فتغطي سبعين سنة من السيادة السعدية ع بالبلاد

السودانية، فكانت بدايتها سنة999/1591هـ، وهي بداية تفرضها طبيعة الموضوع، حيث هي سنة الحملة المغربية السعدية على مملكة سنغاي.

أمّا نهاية البحث فهي سنة1660م/1071هـ، عندما قطعت السلالة الجديدة Armas اعترافها بالسيادة السعدية، هذه الأخيرة التي انهارت هي الأخرى في هذا الزمن.

وقد أشرنا سابقا أن فترة القرنين17و18م، وخاصة الفترة موضوع البحث على أهميتها لم تحظ بدراسات وافية، ومعمّقة. سواء باللغة العربية أو اللغة الأجنبية، تكشف أطوارها وتنير غموضها، فإذا استثنينا ما كتبه محمد الغربي(بداية الحكم المغربي في السودان الغربي)، ويبدوا من عنوانها، أنّها تشمل إطار مكاني أوسع من الموضوع، وما بالك الحديث عن صلب الموضوع. وعبد الكريم كريم(عصر المولى أحمد المنصور الذهبي) لكنها دراسة قصدها مغربي أكثر من أنّها سودانية.ودراسة Delafosse Maurice (أعالي السنغال- النيجر) وهو مؤلف عام ّفي ثلاثة أجزاء حول السودان الغربي، يتحدث في أحد فصوله عن الموضوع، من خلال كتاب تاريخ السودان لـ: عبد الرحمان السعدي، وتذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان لمؤلف مجهول.

وإذا استثنينا بعض المقالات العربية والأجنبية حول الموضوع، التي تختص فقط بدراسة حملة أحمد المنصور على بلاد السودان1591م، على رأسها دراسة Colonel Castries H. De (غزو المنصور لبلاد السودان)؛ ومحمد رزوق(العلاقات العربية الإفريقية خلال القرن16م)؛ ومحمد مزين(المغرب وبلاد السودان خلال القرنين16و17م)؛ فإننا لا نجد ما يشفي الغليل.

لهذا فقد سرت أثناء البحث على المنهج التحليلي النقدي والاستنباطي، انطلاقا من المصادر، وعرض جوانب من مضمونها بعد تمحيصها. وعنونت البحث بـ:

السيادة السعدية بالبلاد السودانية(1591-1660م) دراسة سياسية وعسكرية.

وجاءت خطته على النحو الآتي: تمهيدا وأربعة فصول وخلاصة و مجموعة من الملاحق.

التمهيد: اعتبرناه بمثابة الأرضية الموضوعية، التي ننطلق منها إلى مسرح الأحداث حيث نعطي تعريفا لبلاد السودان عامة، والسودان النيجيري خاصة، كما نعرج فيه على

التطور التاريخي للمنطقة بدءا بـ: إمبراطورية غانا، ثم مالي، إلى سنغاي، حتى نصل إلى المرحلة موضوع البحث، فننتقل لدراسة:

الفصل الأول: المتعلّق بـ: **الحملة المغربية السعدية على بلاد السودان النيجيري** نتحدّث فيه عن بداية هذا الصراع، حيث نوضح بذلك الظروف التي كانت تعيشها مملكة سنغاي، معرجين بذلك على التأثيرات الخارجية الأوروبية، ودراسة الأسباب الحقيقية للحملة، ونتدرج بالدراسة إلى التحضيرات للحملة وانطلاقها بقيادة الباشا جودر وتفوقه في معركة تنديبي 1591م على جيش سنغاي، ونختم الفصل الأول بموقف السودانيين من الحملة.

الفصل الثاني: خصّصناه **للتحولات السياسية ببلاد السودان النيجيري(1591-1660م)** نتعرّف من خلاله على نهاية إمبراطورية سنغاي، كما نناقش إشكالية مراحل الحكم المغربي بالسودان من خلال تنظيماتها وتقسيماتها، وما مدى تأثيرها ودرجة تعايشها مع الإدارة الجديدة، كما أدرجنا مخططا إداريا مبسطا يوضّح سير الإدارة الجديدة بالمنطقة ومراحلها إلى غاية 1660م.

الفصل الثالث: تضمّن **الأوضاع العسكرية ببلاد السودان النيجيري(1591-1660م)** التي تناولنا فيها الإستراتيجية الجديدة للجيش من خلال إدخال تعديلات على الوحدات العسكرية؛ المغربية والسودانية معا، وأنواع أسلحتها. كما وظفنا جدولا للتعزيزات العسكرية من مراكش عاصمة الدولة السعدية إلى بلاد السودان، وناقشناه مع المعطيات النظرية المتوفرة لدينا وكما وجدنا مناصرين للحكم المغربي من السودانيين، فقد كان هناك أيضا معارضين لهم، انسحبوا إلى الجنوب ليشكلوا مقاومة ضد الحكم الجديد، فتطرقنا لهذه المقاومة حتى نهايتها وتوقفها. كما أشرنا إلى قوة سياسية ثانية ببلاد السودان، كانت توازي حكم الأسكيين بالمنطقة، تمثلت في قبائل الفولان والطوارق والبرابيش، فتتبعنا علاقاتها مع الحكم الجديد. وكان لابدّ أن نتوقف عند قضية الفقهاء لنبين موقعها في الموضوع، ثم الحديث عن بعض التمردات التي تمّ إخمادها، لنختم هذا الفصل بدراسة ظاهرة برزت في آخر هذه المرحلة تتعلّق بهجرات القبائل السودانية.

الفصل الرابع: مآثر السيادة المغربية السعدية بالبلاد السودانية(1591-1660م)
حاولنا أن نقوّم هذه المرحلة من خلال مقارنتها مع فترة الأسكيين، لنخرج بمآثر لمرحلتنا المدروسة، فتناولنا سلوكيات الباشوات في هذه الفترة، لننتقل بهذا إلى دراسة المآثر، التي منها؛ انتشار الإسلام، والمآثر الزراعية والصناعية، إضافة إلى المآثر الثقافية، التي وجدنا لها نشاطا أكثر، كما نتحدّث عن التجارة الصحراوية وتجارة الذهب. وختاما لهذا أردنا أن نوضّح رؤيتنا أكثر، لذلك وضعنا عنوانا للمرحلة التالية(1660-1893م)، شرحنا فيه ضرورة التمييز بين المرحلتين: الحكم المغربي السعدي ببلاد السودان، ويليه حكم السلالة الجديدة الأرما بتنبكت.

وقد أنهيت البحث ككل بخلاصة عامة، استعرضت فيها أهم النتائج، التي تمّ الوصول إليها.

وأخيرا أدرجنا في المتن مجموعة من الخرائط التوضيحية لتوسع السيادة المغربية السعدية ببلاد السودان، كما وضعت خريطة لتطوّر الأحداث خلال الفترة المدروسة.

وتتمة لهذه الدراسة ألحقت بها مجموعة من الملاحق الضرورية؛ المتمثلة في بعض رسائل نحسب لها صدى على الموضوع، وأعقبتها بقائمة المصادر والمراجع، ثمّ الفهارس؛ منها فهرس الأعلام، القبائل، الأماكن، المناطق، وأخيرا الفهرس العام للدراسة.

اعتمدت لإنجاز هذه الدراسة على مجموعة من المصادر الهامة؛ خاصة السودانية والمغربية منها، نذكر منها:

أولا: المصادر السودانية:

أهمّها كتاب **تاريخ السودان** لمؤلفه **عبد الرحمان السعدي**(1596-1656م)، وهو كتاب يتحدّث عن فترة الأسكيين وفترة الحكم المغربي، وبذلك يعتبر أوفر كتاب حاليا لدراسة فترة الحكم المغربي ببلاد السودان النيجيري، إلا أنّه يميل أكثر للدراسة العسكرية بحيث يعطينا سردا لأحداث عسكرية، وتفسيرها على حساب المجالات الأخرى، التي تظهرعنده بشكل ملخص في سطرين على الأكثر، ولو حاولنا تفسيرها لكانت إيجابية أكثر، مقارنة مع الجانب العسكري(ينظر الفصل الرابع). هذا الكتاب يميل لدراسته

المؤرخون ويترامون في أحضان جانبه العسكري، للحكم بالإعدام على فترة السيادة المغربية السعدية ببلاد السودان، دون النظر في الجوانب الأخرى، ولهذا فكتاب تاريخ السودان، يجب التعامل معه بطريقة تحليلية نقدية.

كتاب **تاريخ الفتّاش** المنسوب **لمحمود كعت(1468-1593م)**، هذا الكتاب الذي مازال في نظري، يحتاج للكثير من التمعن في طريقة وكيفية ونسب تأليفه، إلا أنّه كتاب لابدّ من الاعتماد عليه لدراسة موضوعنا هذا، فهو يبحث في فترة الأسكيين وحوالي ثمانية سنوات من الحكم المغربي ببلاد السودان.

كتاب **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان** لمؤلف **مجهول**، هذا الكتاب يعتبر أوفر كتاب لدراسة مرحلة تنبكت والأرماArmas، وهو مزوّد بقوائم للباشوات والحكام والقياد والأمناء والأسكيين أثناء مرحلة السيادة المغربية السعدية بالبلاد السودانية، كما يتناول دولة سوكوتو الإسلامية، خلال القرن 19م.

ومجموعة من كتب التراجم؛ أهمّها كتابي **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، **وكفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج** للعلامة **أحمد بابا التنبكتي**، وهما موسوعتان للتعريف بعلماء المغرب الإسلامي، بما فيها علماء بلاد السودان. وكتاب **فتح الشكور لمعرفة أعيان علماء التكرور** لمؤلّفه **البرتلي الولاّتي**، وهو كتاب يحتوي على 200 ترجمة لعلماء سودانيين عاش جلّهم مابين(1650-1800م). وهذه المؤلفات ساعدتنا على رؤية جيّدة لموضوعنا، من زاوية تطورات الحياة الثقافية.

ثانيا: المصادر المغربية:

كتاب **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء** لمؤلّفه **عبد العزيز الفشتالي**، وهو كتاب يؤرّخ للدولة السعدية حتى أواخر عهد السلطان أحمد المنصور، وهو من كتّاب المنصور المقربين، كما يؤرّخ للحملة المغربية وفترة الحكم ببلاد السودان خلال عهد المنصور وهو على عكس الكتابات السودانية، حيث يظهر رأيه واضحا تجاه موضوع الدراسة فهو يرتقي به إلى مصاف الحملات الجهادية، والمآثر المنصورية.

كتاب **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** لمؤلّفه **محمد الصغير الوفراني المراكشي** المتوفي سنة1728م، الذي هو أشمل كتاب عن تاريخ الدولة السعدية، هذا الذي جعله يؤرّخ للحملة بقيادة جودر باشا، ثمّ بعده الباشا محمود بن زرقون، كما أفادنا قليل من أحداث قضية قبض الفقهاء وأحمد بابا التنبكتي، وهو مصنّف بقائمة المراجع الأساسية للموضوع.

وكتاب **تاريخ الدولة السعدية التاكمادارية** لمؤلّف **مجهول**، يظهر صاحبه عداء شديدا للدولة السعدية، ممّا يجعل الحملة في نظره حملة تخريبية، في بضعة أسطر، كما تؤكّد لنا معلوماته البسيطة، عدم إطلاعه على الأحداث الخاصة.

كتاب **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى** لمؤلّفه **السلاوي**، يتحدّث الجزء الخامس منه، الخاص بالدولة السعدية، عن حملة أحمد المنصور على بلاد السودان متتبعا تلك الأحداث وأسبابها، إلى غاية استقبال نجاحها بمراكش عاصمة الدولة السعدية.

ثالثا: المصادر الأخرى:

وفي انتظار ما يسعفنا به المستقبل من إمكانيات العثور على مصادر قريبة من أحداث موضوع المذكرة، فإنّني حاولت جهدي الاستفادة من المصادر الأخرى، وهي متنوعة بين المصادر التاريخية والجغرافية، والتي أفادتنا كثيرا في التعريف بأهمّ المناطق المذكورة وتطوّرها التاريخي، وهي مصادر عربية مثّلت اللّبنة الأولى للدراسات الإفريقية جنوب الصحراء، ولا يمكن لأي مؤرخ، في هذا التخصص الاستغناء عن خدماتها، ومن أهمّها: كتاب **المسالك والممالك** لمؤلفه **أبو عبيد الله البكري**(1014-1094م). و**المسالك والممالك** لمؤلفه **أبي إسحاق الإصطخري**(القرن 10م). و**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** لمؤلّفه **الإدريسي**(ت1160م). و**صورة الأرض** لمؤلّفه **ابن حوقل**(القرن10م) و**العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** في جزءه السابع الخاص بملوك السودان لمؤلّفه **عبد الرحمان بن خلدون**(ت1349م).

ومن الذين زاروا بلاد السودان، ونقلوا لنا معلومات قيمة عنها، نـذكر مـنهم؛ كتـاب **وصف إفريقيا** لمؤلفه **الحسن الوزّان**(1489-1552م) و**رحلـة ابـن بطوطـة**(1304-1377م). إضافة إلى مجموعة أخرى تجدها خلال تطلّعك للمذكّرة ومادة البحث، ستعرف مدى أهميّتها لكل بحوث الدراسات الإفريقية.

رابعا: المراجـع:

وبجانب هذه المصادر الأساسية هناك مراجع أساسية حديثة باللغة العربية والأجنبيـة تناولت الموضوع في بضع صفحات، وتكمن قيمتها العلمية في كونها من الكتـب، التـي ألّفها مختصّون في الدراسات الإفريقية جنوب الـصحراء. وجـاءت مـشبعّة بالتحليـل والتوثيق، كما مكّنتني من الاستفادة والتعرف على المصادر التي اعتمدت عليها، والتي لم يسعفني الحظ في العثور عليها.

فقد استفدت من كتاب **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء مـن نهاية القرن 15 م إلى بداية القرن18م** للأستاذ **الهادي المبروك الـدالي**، لا سـيما فـي الإطلاع على بعض المخطوطات التي نقل عنها. وأفادني كتاب **مملكة سنغاي في عهـد الأسقيين(1493-1591م)** لأستاذنا **عبد القادر زبادية**، في التعرّف علـى حملـة أحمـد المنصور على بلاد السودان. و**تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن20م** للأستاذ **يحي بوعزيز** "رحمه الله" الذي أفادنا كتابه في التخصص وفـي الموضوع أيضا. و**التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلـى اليـوم** للأسـتاذ **عبد الهادي التازي**، وفيه حديث عن علاقات بلاد السودان بالمغرب الأقـصى. وكتـاب **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية** للأستاذ **زكي عبـد الرحمـان**، الـذي احتوى على دراسة بين المغرب وسنغاي. ودراسة للأسـتاذ **محمـد رزوق**، و**موسـوعة تاريخ المغرب العربي** للأستاذ **عبد الفتّاح الغنيمي** ساعدانا على رؤية ومعرفة مآثر للحملة المغربية على بلاد السودان.

ولا نغفل على المراجع الأجنبية التي منها دراسة لـ**حملة أحمد المنصور الـذهبي علـى بلاد السودان 1591م**، قام بها **Colonel de Castries**، تحتوي على دراسـة ميدانيـة

لسير الحملة وإحصاء لمكوّناتها. ودراسة للمؤرّخ **Maurice Delafosse** حول العلاقات بيـــن المغرب والسودان عــبر العصور، إضافة إلى كتابـــــه:

Haut Sénégal-Niger في ثلاثة أجزاء، تحدّث في جزءه الثاني عن السيادة المغربيـــة على بلاد السودان وحصرها بين(1591–1780م) فكانت بمثابة دراســة لكتــاب تــاريخ السودان وكتاب تذكرة النسيان فقد ساعدنا في تفسير وتبسيط بعض الحوادث الغامضة من هذه المصادر. وكتاب **Sékéné mody cissoko** تحت عنوان **تاريخ إفريقيا من العصر الوسيط إلى غاية الفترة المعاصرة(القرن07–1850م)**، عرّج على الحكم المغربي بالبلاد أثناء دراسة لإفريقيا بعد 1591م، أو العصر الحديث بالنسبة لإفريقيا جنوب الــصحراء. وهناك مراجع أخرى ثانوية وظفناها حسب الحاجة، بشكل أو بآخر.

مهما يكن فإنّنا لا نجانب الصواب إذا قلنا: أنّ هذه المهمّة تحمل في ثناياها الكثير من الصعاب؛ أهمّها قلّة المصادر التي يعوّل عليها لإنجاز الموضوع، خاصّــة إذا علمنــا أنّ معظمها خارج الوطن، ومنها مازالت لم تر نور البحث بعد، إضافة إلى كثرة التناقــضات بها، فزاد غموضا للموضوع، وهو ما يتطلّب منّا بدون شكّ يقظة عند تناولها، ممّا صعّب مهامنا، ونحن في هذه المرحلة من الدراسة التي تعوزنا فيها التجربة.

والحمد لله الذي لا يصعب مع دعائه شيء، أن يسّر ما قصدت وذلّل ما أردت.

وختاما أتوجه بالشكر لكل من ساعدني على إنجاز هذا البحث، وفي مقدّمتهم المــشرف الدكتور صابرشريف خالد، الذي حثنا على اختيار مثل هذه المواضيع، للتمتع بلذة البحــث الحقيقي، عند بذل المجهودات، والتغلب على الصعاب. وكل أساتذة التخصص: الــدكتورة عائشة غطاس، و الدكتور بن يوسف تلمساني، والدكتور منصف بكاي، والدكتور عمــار بن خروف، وعلى رأسهم الدكتورعبد القادر زبادية، الذي طالما زرع فينــا بــذرة حــبّ العمل الخالص والبحث في المساهمات العلمية، التي هي من صــفة الباحــث والمــؤرخ الحقيقي.

والله من وراء القصد.

تمهيــد:

بلاد السودان تسمية أطلقها العرب القدامى[1] على الأقوام التي تقطن جنوب الصحراء الكبرى، وهي تسمية مستوحاة من لون البشرة عند سكان تلك المنطقة.

ويمكن تحديدها جغرافيا، بناء على أقوال المؤرخين(القدامى والمعاصــرين)[2]، حيــث نعتبر حدوده الشمالية هي بدايات الصحراء الإفريقية الكبرى، وخط عــرض 10درجــات شمال خط الاستواء، والمحيط الأطلسي غربا، والمحيط الهندي شرقا.

ويمكن تقسيم هذه المنطقة الواسعة إلى ثلاثة أقسام أساسية هي:

1* السودان الغربي: تحدّها شمالا الصحراء الكبرى، وشرقا بحيرة تشاد، وغربا وجنوبا المحيط الأطلسي. وباختصار تشمل المنطقة ما يعرف اليوم بحوض السنغال وغمبيا وفولتا العليا والنيجر الأوسط. ويجري بالسودان الغربي نهران: هما نهر السنغال ونهر النيجر.

كما نميّز منطقتين بالسودان الغربي هما:

ــ **المنطقة السنغامبية[3]والساحلية:**التي تشمل منطقة صحراوية شمالا بموريتانيا، ومنطقة تعرف تساقط الأمطار تغطي السنغال حاليا، ومنطقة رطبة تسود بهــا الغابــات الكثيفــة وغطاء نباتي معتبر، بها نهر السنغال وغمبيا. بالإضافة إلى المنطقة الساحلية المطلّة على المحيط الأطلسي.

ــ **السودان النيجيري:** ويشمل المناطق المجاورة لنهر النيجر وروافده، وهو الجزء الأكبر من السودان الغربي، ماعدا المنطقة السنغامبية الساحلية السابقة الذكر. وقد أورد الحــسن الوزان أنّ نهر النيل(يقصد نهر النيجر) يشق أرض السودان، وأنّ أجمل أرض الــسودان امتدادها على طول نهر النيجر[4].

---

(1) نذكر منهم: ابن حوقل، والإدريسي، والبكري، وابن خلدون، ابن عبد الحكم، والقلقشندي...إلخ.

(2) نذكر منهم: ابن حوقل، والإدريسي، والبكري، وابن خلدون، وابن بطوطة ...إلخ، وأستاذنا الدكتور عبد القادر زبادية والأستاذ يحي بوعزيز، والهادي المبروك الدالي......إلخ.

(3) حسب محاضرات الدكتور صابر شريف خالد، بقسم التاريخ جامعة الجزائر.

(4) الحسن الوزان بن محمد(ليون الإفريقي)، **وصف إفريقيا**، 2ج، ط2، تحقيق محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1983م، ج2، ص30.

نهر النيجر: ينبع من جبال لوم، ويمتد على طول 4200كلم. ينظر، كاربخال مارمول ، **إفريقيا**، 3ج، ترجمة محمد حجي وآخرون، الرباط، 1988م، ج3، ص183.

2* السودان الأوسط: يشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.

3* السودان الشرقي أو السودان النيلي: يشمل مناطق نهر النيل وروافده، جنوب بلاد النوبة، ويعرف أيضا عند العرب ببلاد الزنج.

وعموما فبلاد السودان الغربي أرض كثيرة الخيرات والنعم، ومعادن نفيسة كالذهب والعاج. تعاقبت عليها ممالك وإمبراطوريات لعبت دورا في ازدهارها، فكانت **إمبراطورية غانا** ، أولى الحلقات التاريخية البارزة بغرب إفريقيا.

وقد قامت مملكة غانا منذ القرن3م، من قبل حكام من البيض قدموا من الشمال الإفريقي، ثم جاءت بعدهم عائلة حاكمة من السود في القرن8م، حتّى بلغت ذروة مجدها وعظمتها خلال القرن11م، وكان هذا الازدهار؛ نتيجة لمشاركتها في التجارة الصحراوية، واستغلالها لمناجم الذهب لهذا اتسعت رقعتها وامتدت من نهر النيجر إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا[1].

ومن حواضرها نجد العاصمة كمبي صالح[2]، ومدينة أوداغست[3]، التي تعتبر حاضرة من حواضر الإمبراطورية، وأنّ جزءا من سكانها يدينون بالإسلام، وحسب المصادر[4]المعاصرة لإمبراطورية غانا، فإن تجذر الإسلام بها منذ بداية القرن10م.

وقد انهارت إمبراطورية غانا، في مطلع القرن13م، ولم نعرف بعد الأسباب الحقيقية لضعفها، سوى الحديث عن حملة المرابطين في القرن11م، التي نتج عنها بداية انتشار الإسلام بالمنطقة. حيث انسحب المرابطون فيما بعد إلى الشمال، فبدأت الأقاليم تستقل شيئا

---

(1) الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن15 إلى بداية القرن18م**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998م، ص21- 26 .

(2) كمبي صالح: تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت، بحوالي 500كلم، ويرجع تأسيسها إلى عهد حكومة البيض الأولى، ويقال أنّها بنيت عام300م. تبعد عنها أوداغست شمالا بحوالي350كلم. ينظر، عصمت عبد اللطيف دندش، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا1039-1121م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م، ص111.

(3) أوداغست: هي مدينة من مدن إمبراطورية غانا، على بعد 200ميل من كمبي صالح، تقع بين خطي عرض 18°و19° شمال خط الاستواء. ذكرها الإدريسي والبكري ...إلخ، وقال عنها ابن حوقل"...أوداغست مدينة لطيفة، أشبه بلاد الله بمكة، بين جبلين ذات شعاب...". ينظر، المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 29،30.

(4) منها ماكتبه: الإدريسي، ابن حوقل، البكري، المسعودي، القزويني...إلخ.

فشيئا عن الإمبراطورية، حتى وقعت في النهاية العاصمة كمبي صالح في أيـدي حكـام الصوصو من مملكة مالي المجاورة سنة1240م[1].

وبعد هذا التاريخ1240م، آل الأمر إلى قبائل الماندينغ الإسلامية بقيادة سونديا تاكيتـا حيث يرجع لهم الفضل في تكوين **إمبراطورية مالي الإسلامية**، وسيطرتها علـى كامـل المنطقة، وبذلك تكون أوّل إمبراطورية إسلامية بالسودان النيجيري. وكـان القـرن 14م عهد ازدهارها وقوّتها، حيث عمّ الأمن كلّ جهات الإمبراطوريـة، وازدهـر اقتـصادها وامتدت شرقا إلى مشارف بحيرة تشاد، ومن حكامها كنكان موسى، الذي أشتهر برحلتـه إلى الحج[2] عام 1324م. لكن مع بداية القرن 15م ضعف أمراؤها، وكثر ظلم حكامهـا وظهرت الاضطرابات والصراعات، التي استغلتها قبائل سنغاي وانفصلت عنهـا حتـى تمكنت من بسط نفوذها نهائيا على أراضـي الإمبراطوريـة، وأقامـت علـى أنقاضـها إمبراطورية جديدة هي إمبراطورية سنغاي[3].

تأسست **مملكة سنغاي** منذ القرن 07م، حيث حكمتها عائلة ضياء الطرابلـسية حتـى سنة1335م، ثمّ انتقل الحكم إلى آل سني، التي تنحدر من عائلة ضياء الـسابقة، ونعتبـر آخر حكامها سني علي بير، الذي حكم البلاد ما بين(1464-1492م) المعروف بـ: سني علي الكبير[4]، هو المؤسس الحقيقي لإمبراطورية سنغاي، حيث توسعت وبلغت ذروتهـا في عهده، وتمكّن من تأسيس إمبراطورية محورها نهر النيجر[5].

وننتقل هنا إلى آخر مرحلة من حكم سنغاي، حيث اغتصب قائد الجيش محمد تـوري الحكم من آل سني، وعرف باسم الأسكيا محمد الكبير، وبذلك بدأ حكـم الأسـاكي منـذ سنة1492م، وقد واصل الأسكيا محمد الكبير ما أنجزه سني علي الكبيـر، فـي توسـيع مملكته في كلّ الاتجاهات، وفرض سلطانه على الصحراء حتـى منـاجم تغـاز، ونقـل

(1) عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493-1591م)**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر بدون تاريخ، ص21- 23.

(2) استغرق التجهيز لهذه الرحلة خمسة سنوات، واختلفت المصادر في تحديد الكميات الطائلة من الذهب، وعدد العبيد الذين رافقوه، سلك طريق ولاته مرورا بتوات، وعند وصوله القاهرة، أنفق في شراء الكتب والهدايا والجواري فانخفضت قيمة الذهب بـ:6%. أما في مكة فقد أنفق عشرين ألف قطعة ذهبية. ينظر، نفسه، ص23.

(3) نفسه، ص21- 25.

(4) نفسه، ص26.

(5) المبروك الدالي، المرجع السابق، ص98.

العاصمة من كوكيا إلى غاو(كاغ)، كما ظهرت مدينة تنبكت كمدينة ثقافية برز دورها في نشر الثقافة العربية الإسلامية بالسودان، وتعتبر إمبراطورية سنغاي أوسع الإمبراطوريات التي قامت بالسودان الغربي عامة والسودان النيجيري خاصة. هكذا نجد أن الأسكيين بعد الأسكيا الحاج محمد –اشتهر كذلك برحلته إلى الحج[1] سنة1496م– كانت إمبراطورية سنغاي أكبر منهم بكثير، وبدأ ظهور الصراع منذ النهاية المأساوية للأسكيا الحاج محمد الكبير، حيث عزله ابنه الأسكيا موسى سنة1528م ونفاه إلى مستنقعات بالجنوب[2] فضيّعوا الإمبراطورية، وراحوا يتصارعون حول الاعتلاء على العرش، وظهرت مشاكلها مع الدولة السعدية بالمغرب الأقصى، واستمرّ هذا الضعف ينخر في جسم الإمبراطورية ويسير بها نحو الهاوية، حتى نهاية القرن16م، حيث انتهى وجودها بالحملة المغربية السعدية سنة1591م.

هذه الحملة السعدية، التي قيل عنها الكثير، وبقيت من أحلك خبايا تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، حيث انتقل حكم بلاد السودان النيجيري للمغربيين، تحت تبعية الدولة السعدية.

ـــ فكيف كان ذلك؟ هذا ما نحاول الإجابة عنه من خلال الفصول الآتية:

---

(1) عبرت الرحلة الأراضي الليبية، مرورا بغدامس وطرابلس إلى أن دخلت الأراضي المصرية، مرورا بالإسكندرية والقاهرة، ومنها إلى الأراضي المقدسة، وقد أنفق الأسكيا محمد الكبير في حجه ثلاثمائة ألف قطعة من الذهب الخالص وقد أنفق كنكان موسى قبله ثلاثين ألف قطعة ذهبية. ينظر، المبروك الدالي، المرجع السابق، ص126.

(2) نفسه، ص171.

الفصل الأول

الحملة المغربية السعدية على بلاد السودان1591م/999هـ

1 ـ ظروف الحملة المغربية السعدية على بلاد السودان(إمبراطورية سنغاي)

أ ـ أوضاع بلاد السودان قبيل الحملة:ـ الأوضاع السياسية

ـ الأوضاع الدينية

ـ الأوضاع الأخرى

ب ـ العلاقات المغربية ببلاد السودان: ـ العلاقات قبل الدولة السعدية

ـ اهتمام السعديين ببلاد السودان(معظلة تغاز)

ج ـ التأثيرات الخارجية(أطماع الأوروبيين بذهب بلاد السودان)

د ـ أسباب الحملة: ـ الدوافع الدينية

ـ الدوافع الاقتصادية

ـ الدافع المباشر

2 ـ الإرهاصات الأولى للحملة:

أ ـ التحضير للحملة

ب- تشكيلة الحملة

ج- وصول الحملة لبلاد السودان

د ـ موقف السودانيين ونظرتهم من الحملة

"...فتغير الجميع حينئذ، وصار الأمن خوفـا، والنعمـة عذابا وحسرة، والعافية بلاء وشدّة، ودخل الناس يأكل بعـضهم بعضا في جميع الأمكنة طولا وعرضا بالإغارة والحرابـة...... إلى قرب انقراض دولتهم، وزوال مملكتهم، بدّلوا نعم الله كفرا، وما تركوا شيئا من معاصي الله، إلا ارتكبوه جهرا مـن شـرب الخمور، ونكحة الذكور، وأما الزنا فهو أكبر عملهم، حتى رجع بينهم كأنه غير محظور، ولا لهم فخـر وزينـة إلا بهـا ...... ولهذا انتقم الله سبحانه منهم بهذه المحلة المنصورة، فرمـاهم بها من مسافة بعيدة ومكابدة شديدة، فاجتثـت عـروقهم مـن أصلها، ولحقوا بأصحاب العبر وأهلها..."

السعدي، تاريخ السودان، ص 142،143

1ـ ظروف الحملة المغربية:

أ ـ أوضاع إمبراطورية سنغاي قبيل الحملة:

يتفق مؤرخو الدراسات الإفريقية على الحالة السيئة، التي كانت تعيشها بلاد السودان النيجيري أواخر القرن 16م، الذي تمثله إمبراطورية سنغاي [1] (1591/1493م) وهذا انطلاقا من المصادر الإفريقية المتوفرة لديهم خاصة منها: تاريخ الفتاش لـ: محمود كعت، و تاريخ السودان لـ: عبد الرحمان السعدي.

ـ الأوضاع السياسية:

توالى على كرسي إمبراطورية سنغاي في هذه الفترة (1591/1493م) تسعة ملوك خلفا لأبيهم الأسكيا[2] الحاج محمد الكبير(1528/1492م)، حتى عام 1583م وهم: موسى (1531/1528م)، محمد الثاني (1537/1531م)، إسماعيل (1539/1537م) إسحاق الأول (1549/1539م)، داود (1583/1549م). ثم انتقلت الخلافة إلى أبناء داود وهم: الحاج محمد الثالث (1586/1583م)، محمد الرابع(1588/1586م)، إسحاق الثاني (1591/1588م)، وأخيرا محمد كاغ 1592م[3] لم يقم هؤلاء الخلفاء بفتوحات حقيقية ولكنهم كانوا يغيرون على البلدان المجاورة للمملكة ، أما في الداخل فقد كانت أزمة

---

(1) سنغاي: نسبة إلى قبيلة سنغاي، كانت تسكن النيجر في حدود الغابات الاستوائية في سنوات الميلاد.ثم أخذت تنتقل إلى الشمال مع النيجر، وفي القرن 07م امتدت مساكنها حول النيجر بحوالي 150كلم، وبدأ شعبها ينتظم إلى غاية تأسيس إمبراطورية سنغاي القرن 16م .أما الآن فإن السنغائيين يبلغ تعدادهم حوالي 650000نسمة .ويتوزعون في الناطق المحيطة بـ:غاو، وأقليات بـ: أغدس، تنبكت، جني،شمال الداهومي. ينظر، عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص25.

(2) الأسكيا: لما انهزم شي بار بن سني علي على يد الأسكيا محمد، وعندما وصل الخبر إلى بناته قلن "أشكيا" ومعناها بلغتهم لن يكون. فلما سمع هذا أمر أن تصبح لقبا له ولعائلته. عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي **تاريخ السودان**، تحقيق هوداس، باريس 1964، ص72.

(3) ملخص خاص بحكام سنغاي في عهد الأسقيين. ينظر، نفسه، ص71- 137. والقاضي الفع محمود كعت بن الحاج المتوكل كعت، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تحقيق هوداس، باريس، 1964 م، كل الكتاب وص 144- 280 من النسخة الفرنسية. للتوضيح ينظر، عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص31- 54. والمبروك الدالي، المرجع السابق، ص110- 190.

Sékéné Mody cissoko, **Tombouctou et l'Empire Songhay épanouissements du soudan nigérien au 15et 16 siècles**, les Nouvelles Edition Africaines, Dakar, 1975, pp71- 96.

الخلافة على الحكم مثار صراعات خضبت دماؤها أكثر من مرة هذا الجزء من ثنية النيجر[1].

إن جهود محمد الكبير لم تجد من يتابعها ، وكان تاريخ الحكم بعده عبارة عن سلسلة من الصراعات، وثورات في القصر، وحتى انقلابات. من بينهم الأسكيا داود الذي طالت مدة حكمه بحوالي 34 سنة، ويستحق الذكر والقول أنه حقق نجاحا[2].

فبعد الأسكيا داود تولى العرش ابنه الأسكيا محمد الثالث، الذي دخل في نزاع مسلح مع أخيه " الهادي " من أجل ولاية العرش، انتهى بقتل " الهادي" على يد قائد أسطول الأسكيا محمد الثالث. والسمة المميزة لعهده الضعف والانحلال، الذي أخذ يدب في المملكة واتضح سيرها نحو الهاوية[3] .

خلفه على العرش الأسكيا محمد باني، الذي مات في حملة عسكرية قام بها لقمع ثورة ضده. ثم جاء بعده آخر ملوك سنغاي قبل الحملة – موضوع البحث والدراسة – إسحاق الثاني، الذي وجد المملكة في حالة مستعصية من الفوضى، والاضطرابات، وضعف السلطة المركزية، وفقر الخزينة، وهذه الوضعية هي التي شجعت حاكم تنبكت[4] "الصديق" على الثورة عليه[5]. وقمع الأسكيا إسحاق الثاني هذه الثورة بوحشية، وأباد جيوش الغرب، وهكذا انقسمت المملكة من الناحية المعنوية، ودامت هذه الحرب الأهلية مدة ثلاث سنوات[6].

ويرجع أستاذنا عبد القادر زبادية هذه الأوضاع المتدنية إلى العوامل الشخصية الأنانية التي أصبحت تسير الأمراء الأسكيين منذ نهاية الحاج محمد الأول أكثر من غيرها.

---

(1) سيكيني مودي سيسوكو، السنغاي بين القرن 12 و 16م، **تاريخ إفريقيا العام، اليونسكو**، المطبعة الكاثوليكية بيروت، لبنان، 1988 م، ص207.

(2) J. Spencer Trimingham, **History of Islam in Africa,** London, 1963, p 99.

(3)عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 49، 50 . و السعدي، المصدر السابق، ص114- 117.

(4) تنبكت: تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر.تبعد بـ9 أميال عن النهر عند درجة شمال خط الاستواء. تأسست خلال القرن 5هـ/11م على يد قبائل طوارق(مقرشن). أصبحت عاصمة لإمبراطورية مالي في النصف الثاني من القرن12م. ثم عاصمة ثقافية لسنغاي خلال القرن16م حيث بلغت أوج ازدهارها، ثم عاصمة للباشوات السعديين منذ 1591م. ينظر، البستاني بطرس، **دائرة المعارف**، بيروت، 1986، مج6، مادة تنبكت، ص210.

(5) إسماعيل العربي، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر 1982م، ص 326،327.

(6) سيكيني مودي ، المرجع السابق، ص208.

يضاف إلى هذا أن الإمبراطورية كانت تتكون من شعوب تختلف في مميزاتها الطبيعية وتقاليدها مما كان يحتم استمرار الرعاية، التي تصدى لها محمد الحاج الكبير وحده فيما يخص عوامل الوحدة والوئام[1].

هذه هي الحالة السياسية لإمبراطورية سنغاي أواخر القرن 16م، مؤامرات وثورات تواجهها معارضات بسبب الاستيلاء على السلطة.

ـ الأوضاع الدينية :

جاء في كتاب تاريخ السودان، ما يصور لنا الحياة الدينية أواخر القرن 16 م لإمبراطورية سنغاي، حيث ظهر الانحلال الأخلاقي، بارتكاب المعاصي جهرا، من شرب للخمر، واللواط، والزنا، وأصبحت المعاصي مفخرة وزينة......و"...ما تركوا شيء من معاصي الله تعالى إلا ارتكبوه ..."[2]. والتي بلغت الذروة في عهد الأسكيا إسحاق الثاني بالانغماس في الملذات، والطقوس الوثنية[3]. وكانت بلد كاغ[4] العاصمة في غاية الفسق[5]، وبلد جني[6] تناسلهم مع أصحاب الديانة المجوسية[7]. وينقلنا السعدي إلى أبعد من هذا "... إلى قرب انقراض دولتهم وزوال ملكهم بدّلوا نعم الله كفرا..."[8].

---

(1) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص54.

(2) السعدي، المصدر السابق، ص144.

(3) J.S. Trimingham, op. cit, p 100.

(4) كاغ : وتسمى أيضا غاو،تقع على ضفة نهر النيجر من جهة الشرق، وتختلف المصادر في تسميتها فنجدها كوكو عند الإدريسي وحسن الوزان ويذكرها المهلبي كاوكو ...احتلت المرتبة الأولى تجاريا في وسط نهر النيجر، وفي القرن 16م أصبحت عاصمة لمملكة سنغاي. ينظر، أبو الحسن عي بن موسى المغربي ابن سعيد، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي،ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م، ص 93. أبو عبد الله الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في إختراق الآفاق** ، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، بدون تاريخ، المجلد01، ص110. أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق محمد صادق، دار العراق، بيروت، 1955م، ص194. و Raymond mauny, **Recueil des sources arabes concernant**, trad Joseph cuoq paris, p77.

(5) كعت، المصدر السابق، ص152.

(6) جني: تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة تنبكت بحوالي600كلم، يورد السعدي أنّ تأسيسها في القرن2هـ/623 م حضيت بأهمية اقتصادية كبيرة كملتقى للقوافل التجارية، حيث اشتهرت بتجارة الملح والذهب، وقد زادت ازدهارا عندما دخلها سني علي حيث عمل على تطويرها ودعم الأمن بها. ينظر Henri Barth, **Voyages et decouvertes dans l'Afrique septentrionale et central,** Vol 3,1860 p 532.

(7) السعدي، المصدر السابق، ص 143، 144.

(8) نفسه، ص144.

يستوقفنا هذا لطرح السؤال الآتي:

ـ هل يقصد أنّهم ارتدّوا عن الدين الإسلامي ؟ ؟ ؟.

علام يبدوا لنا فإن الأمر واضح: بدّلوا يقصد بها غيّروا على ما كانوا عليه، ونعم الله هي الإسلام، والكفر كفرا.

فتدهورت بلاد السودان وفسدت بتضييعها للإسلام "...لما فسد أمر سنغاي...وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون بتضييع حقوق الله ...... وغير ذلك مما يعيب به ذاكره والمحدث به ... "[1].

أمام هذه الشهادات لمؤرخي المنطقة، والتي عايشت الفترة، وأقرّت بالفساد الأخلاقي و الرجوع إلى الطقوس الوثنية، التي لم تفارقهم أبدا. إلا أن نقول أن الإسلام عرف تراجعا ببلاد السودان أواخر القرن 16م.

ـ الأوضاع الأخرى:

تراجع وتأخر الإسلام، أمام تقدم السحر والشعوذة والفسق والفجور، زد على ذلك العائلة الحاكمة ممزقة من خلال الخصومات و قتل الإخوة؛ ترتب عنه انعكاسات على أمور الدولة؛ حيث أضعفت سكان المدن، وانهار الجيش[2]، وظهر الانحلال الأخلاقي وحدث التمرد من أمراء القبائل والمقاطعات. ويلخص لنا صاحب تاريخ السودان هذه الأوضاع بأن صار الأمن خوفا والنعمة عذابا وحسرة والعافية بلاء ودخل الناس يأكل بعضهم بعضا بالإغارة على الأموال، وقتل النفس بغير حق، وتمرد رؤساء القبائل، فأول من بدأ بذلك "سنب لمد" صاحب "دنك"على منطقة رأس الماء[3] بأن قتل عددا لا يحص وأكل أموالهم وسبا عددا من الحرائر، ثم تمردت قبيلة الزغرانيين[4] بأن خربوا بلدة "بر" وبلد"درم"، أمّا أرض "جني "، فقد خربها كفّار" بنبر" وعاثوا في الأرض فسادا، ومن منكرهم تناسلهم مع أصحاب الديانة المجوسية في مدينة "جني"، وتمردت قبائل

---

(1) كعت، المصدر السابق، ص152 .

(2) Hubert Deshamps, **l'Afrique noire précoloniale**, Presse universitaire de France 1962,p41.

(3) رأس الماء: تقع إلى الشمال الغربي من مدينة تنبكت، بحوالي 600كلم، وقد استحدثها الأسكيا الحاج محمد في بداية حكمه، وحفر فيها الآبار، فكثر الناس بها، وعمرت وأصبحت ولاية. ينظر، المبروك الدالي، المرجع السابق، ص117.

(4) الزغرانيون: ربما تكون قبيلة بربرية تعيش مع الطوارق قرب منطقة رأس الماء. الباحث .

الفولان[1] على النظام السياسي، عندما أحسوا بضعفه من جراء الصراعات الداخلية، كما فسدت أخلاق عدد من حكام السودان والعامة، فكثر فيها شرب الخمر والزنا، ومسائل يندى لها الجبين[2]. وعلى عكس كل هذا، يتحدث لنا كعت في كتابه تاريخ الفتاش؛ عن تنبكت فهي في غاية الحسن، والجمال، وذمّة الدّين، وإحياء السّنّة، وطلب العلم، ولا نظير لها في البلدان من بلد السودان، والحكم فيها للقاضي[3].

بعد هذا العرض لأوضاع مملكة سنغاي قبيل الحملة السعدية عليها، نستطيع القول أن المنطقة تعاني من فوضى سياسية واجتماعية واقتصادية، حيث فشل أبناءها الخروج بها إلى دائرة الأمان، حتى أن علماء تنبكت لا نجد لهم موقعا أمام هذه الأوضاع.

ب ـ العلاقات المغربية ببلاد السودان:

ـ العلاقات قبل السعديين:

العلاقات المغربية السودانية، هي علاقات قديمة عبر الصحراء[4]، التي يعتقد أنها عائق بين المغرب والسودان، فكانت تمثل عاملا قويا من عوامل الاتصال الحضاري

---

(1) الفولان: تعرف بعدة أسماء منها؛ الفولا، الفولاني، الفيلاني، الفلاتا، الفولبي، تقطن في المنطقة الواقعة في أعالي النيجر، وحتى نهر السنغال، يعيشون إما رعاة متنقلون أو مستقرين يمثلون طبقة ذات نفوذ. ينتسبون إلى الحاميين الشماليين الذين أخذوا ينشرون نفوذهم في السودان الغربي وأعالي السنغال أثناء قيام إمبراطورية غانا، وفي نهاية عام 1810م، دعم الفولانيون نفوذهم في سائر ولايات الهوسا، وفي أواخر القرن 19م، اتسعت رقعة إمبراطورية الفولان فشملت الأقاليم الشمالية من نيجيريا، ويتكلمون لغة الفوفولدية fufulde وهي على جانب كبير من الأهمية. ينظر سليجمان س ج، **السلالات البشرية في إفريقيا**، ترجمة يوسف خليل، القاهر، 1959م، ص 48، 49.

(2) المبروك الدالي، المرجع السابق، ص197. و السعدي، المصدر السابق، ص143.

(3) كعت، المصدر السابق، ص 178، 179.

(4) الصحراء: تذكرها المصادر العربية بـ: نيسر ،أو سير، ويصفها بن حوقل، بأنها بين بلاد المغرب وبلاد السودان مفاوز، وبراري منقطعة، قليلة المياه، متعذرة المراعي، وأن سلوكها غير ممكن لفرط البرد الذي يمنع من العمارة ويصفها الإدريسي، الذي يسميها بصحراء نيسر، أنها قليلة الأنس، والماء بها قليل. غير أن ابن خلدون يذهب إلى اعتبارها حاجزا، ويجعلها الإصطخري، المنفذ الوحيد للاتصال بشمال إفريقيا، والعالم الخارجي. أما عن نشأتها فقد تكون تشكلت بعد العصر الجليدي، خلال فترة الجفاف التي عرفها العصر النيوليتي، حيث وجدت في الصحراء الكبرى أقم المظاهر الحضارية ذات الأصول السودانية، التي تعود إلى سنة 7600ق م، لكنها تتميز بالضعف نسبيا. في هذا الوقت شهدت منطقة شمال إفريقيا مظاهر جد متطورة. ينظر، أبو عبيد الله البكري، **المسالك والممالك**، 2ج، تحقيق أندريان فان اليوفن و وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م، ج1، ص 238، 239. و أبو القاسم النصيبي ابن حوقل **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م، ص100. و الإدريسي، المصدر السابق، ص108. وعبد الرحمان بن خلدون، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج7، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983م، ج6، ص197. وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم مصر، 1961م، ص 34، 35 . وإبراهيمي ك، **تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر**، ترجمة محمد البشير شنيتي ورشيد بورويبة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1982م ص 118، 119.

والسياسي، والثقافي، والتجاري، فهي بذلك صلة وصل أكثر من أن تكون صلة فصل. ومن خلال ما ذكر المؤرخون منهم؛ البكري، والإدريسي، وابن حوقل، والإصطخري... تصبح بلاد السودان المجاورة لبلاد المغرب امتدادا لها(امتدادا جغرافيا)[1]. فهذا الترابط الطبيعي أثر على مستقبل العلاقات بين سكان البلدين، حتى أننا نجد في السودان أدوات حجرية من عصر البابليوليتيك يستخدمها السودانيون الصناع، هي نفسها الموجودة في شمال إفريقيا[2]. وقد ازدادت هذه العلاقات قوة وتماسكا، بعد انتشار الإسلام في تلك الربوع السودانية، وبالتالي ازدادت قوة الاتصالات[3]. هذا الذي دفع" Jaques maquet جاك ماكي " يعتبر أنه من الخطأ تقسيم إفريقيا، حسب مقاييس جغرافية أو تاريخية؛ لأنّ الأمر يتعلق قبل كل شيء بتصنيف ثقافي[4].

فكان ضروريا أن يحدث اتصال وتبادل بين المغاربة وبلاد السودان في مجالات شتى؛ ففيما يخص تبادل السلع كانت القوافل التجارية تسير باستمرار بين تنبكت وغاو(كاغ) إلى سجلماسة[5] وتارودانت[6]، عبر الطريق الغربي الساحلي والأوسط وكانت المصنوعات المغربية من أقمشة وأحذية وأدوات نحاسية، تجد رواجا لها ببلاد السودان، في حين أحمال التبر وأنواع الرقيق الزنجي تغمر الأسواق المغربية.

---

(1) نور الدين شعباني، **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية بين القرنين (4و10هـ) / (10و15م)**، رسالة ماجستير (غير منشورة) بقسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006/2005م، ص 54.

(2) Maurice Delafosse, les relations du Maroc avec les Soudan a travers les àges, **revue Hésperis**, T 4, 2 trimestre, paris, 1924, p153.

(3) Alphonse Gouilly, **L'islam dans l'Afrique occidentale française**, édition larose, paris, 1952, p279. و J.S Trimingham, op. cit ,p 13.

(4) Jacques maquet, **les civilisations noires**, Belgique,1966,p16.

(...Le défaut des classifications fondées principalement sur des critères géographiques ou historiques est de ne pas mettre suffisamment en relief la spécificité du phénomène socioculturel. Après tout, puisqu il s agit de grouper des cultures qui se ressemblent, les critères fondamentaux doivent être culturels et non spatiaux ou temporels.)

(5) سجلماسة: تقع في الحدود الجنوبية الشرقية للمملكة المغربية، وقد بناها جماعة من الصفرية سنة 140هـ/857م وعرفت دولتهم بدولة بني واسول ،وعرفت أيضا بدولة بني مدرار. ينظر،البكري ،المصدر السابق،ص142- 151 و ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ليفي بروفنسان، ط3، الدار العربية للكتاب المغرب، 1983م، ج1، ص156- 150.

(6) تارودانت: تقع جنوب مراكش بالقرب من ساحل المحيط الأطلسي شرق أغادير الحالية، وكانت حاضرة سوس لبعض الوقت في القرن7هـ/13م، دخلت تحت سيطرة المداريين ثم الأدارسة.ينظر، عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العربان، القاهرة، 1963م، ص447.

بالإضافة إلى هذا كان الطلاب السودانيون يقصدون الجوامع المغربية خصوصا منها جامع القرويين بفاس، حيث تخرج منها عدد كبير من علماء السودان من حملة الشريعة الإسلامية، في حين هاجر بعض علماء المغرب إلى المراكز السودانية كمدرسين وقضاة ومفتيين، حتى أنّ الكثير منهم فضل الحياة هناك[1].

وقد شمل هذا التقارب بين المنطقتين من الطراز المعماري كذلك، من حيث التشابه في الدور السكنية والقصور والمساجد، وقد بدأ ذلك منذ سنة 1325م، لما رجع ملك مالي" كنكان موسى" من الحج صحب معه " الساحلي " وهو المهندس الذي يعود له الفضل في تصميم بناءات سودانية على النمط المغربي[2]. كما ظهر نوع من العلاقات الدبلوماسية حيث تبادل الطرفان[3] الهدايا، ومنذ وفاة كنكان موسى سنة1337م وخلفه ابنه منسا مغا(1337–1341م)، تغير الوضع، و تضاعفت الهدايا بين العاصمتين[4]

وقد استطاعت مملكة سنغاي مع ضعف وانحلال الدولة الوطاسية[5] في مطلع القرن16م، أن توسع حدودها الشمالية على حساب المغرب، واستولت بذلك على مناجم الملح بتغاز وتاوديني[6] بإقليم موريتانيا[7] الحالية.

---

(1) M. Delafosse, op. cit, p p158,159.

(2) Ibid, p 159.

(3) الدولة المرينية المغربية مع إمبراطورية مالي السودانية.

(4) ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 555، 556.

(5) الوطاسيون: فرع صغير من بني مرين، ينتمون إلى قبيلة زناتة البربرية، في سنة 1471م نجح محمد الشيخ الوطاسي في تأسيس الدولة الوطاسية بعد أن قضى على دولة بني مرين عام 1465م . ينظر، عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م** ،ج1، دار الأمل، الجزائر، 2006م، ص 64.

(6) تاوديني: جنوب تغاز بحوالي 150كلم .ينظر، .M. Delafosse, op. cit, p 164

(7) عندما مرّ ابن بطوطة بهذه الممالح (القرن14م)، وجد أن ملكيتها بيد قبيلة مسوفة المحلية، وأن لا سلطة لأحد عليها وخلال القرن 16م استطاع الأساكي امتلاكها. ينظر، عبد القادر زبادية، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء (دراسات ونصوص)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص 45 .

ـ اهتمام السعديين[1] بالسودان:

يمكن القول أن العلاقات المغربية السودانية، في البداية لم تخرج عن كونها علاقات تبادل تجاري وفكري، أكثر منها علاقات سياسية، لكن مع ظهور السعديين، وقيام دولتهم بالمغرب الأقصى، تغيرت لتصبح سياسية بين العاصمتين مراكش[2] وغاو(كاغ)[3].

1) معظلة تغاز[4]:

لا يختلف مؤرخان في أن السيطرة على تغاز، تمثل السيطرة الاقتصادية على الصحراء، ما دام الملح يباع ويشترى ويستبدل بالذهب ويستعمل كعملة أساسية في الصحراء لمبادلة البضائع، خاصة إذا علمنا أن انتماءها الجغرافي يرجع للأقوى. لذلك كان هناك تضارب بين المؤرخين في انتمائها؛ فمنهم من يضعها أقرب إلى مراكش منها إلى نهر النيجر[5] ومن يضعها تتوسط بينهما[6]، أو تقع على حدود مراكش[7]، إلى من يضمها إلى بلاد السودان منذ أيام إمبراطورية مالي[8].

---

(1) السعديون: تقول المصادر أنهم من أسرة عربية وفدوا من ينبع بالحجاز إلى درعة بجنوب المغرب، والاعتقاد السائد أنهم من الأشراف، ويسمون أيضا بالزيدانيين نسبة لجدهم زيدان بن أحمد، أقاموا دولتهم السعدية منذ القرن 16م على أساس الجهاد ضد البرتغاليين، كما أطاحوا بالدولة الوطاسية بعد صراعات طويلة، وأصبحت مراكش عاصمة لهم. ينظر، عمار بن خروف، المرجع السابق، ص50- 59.

(2) مراكش: تقع جنوب المغرب، من أشهر وأكبر مدنه، بناها زعيم اللمتونيين يوسف بن تاشفين عام 470هـ، وقد كانت أرض موحشة يضطر عابروها للإسراع خوفا، ومنه اتخذ اسم مراكش وتعني بالبربري " أسرع المشي ". ينظر، نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص 109، 110.

(3) M. Delafosse, op. cit, p 162.

(4) تغاز: تقع جنوب المغرب الأقصى، بقرب البحر المحيط شرق الأقاليم الصنهاجية، تتوسط الطريق الرئيسي بين تنبكت ودرعة بالمغرب، وتعتبر المصدر الرئيسي لمعدن الملح، وأغلب سكانها من مسوفة، وليسوا من سكان البلدة، ليس بها عمران وكل ما تحتويه هو الملح الذي يباع ويشترى بالذهب، حيث كان التعامل فيها بكميات ضخمة من الذهب. ينظر، عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي(ابن بطوطة)، **تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلته)**، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2006م، ص257. والحسن الوزان، المصدر السابق، ص 108،109. ومارمول، المصدر السابق، ص 184، 185.

(5) أحمد شلبي، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، 6 ج، **" الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن "**، ط 6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج 6، ص271.

(6) الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص 108، 109.

(7) جي دي فيج، **تاريخ غرب إفريقيا**، ترجمة السيد يوسف نصر، ط 1، القاهرة، 1982م، ص67.

(8) M. S. Cissoko, op. cit, p 86.

ـ أولا: في عهد أحمد الأعرج[1] (1518ـ1544م):

راسل أحمد الأعرج في آخر حكمه الأسكيا إسحاق الأول(1539–1549م) يطالب منه التنازل له عن ممالح تغاز، وفي هذا الوقت كان إسحاق الأول في أوج قوته[2]. وردّ عنه بالقول والفعل؛ بأن أحمد الذي سمع ليس إياه، وأن إسحاق الذي سمع ليس هو إياه[3]؛ وعليه أن ينتظر أحمدا أقوى وإسحاق أضعف ـ وهذا الذي حدث فعلا بتفوق أحمد المنصور على إسحاق الثاني في 1591م ـ وليثبت ويؤكد قوته أرسل حملة عسكرية في ألفين من ركاب الجمال (المهرية) الطوارق[4] تحمل تعليمات بعدم القتل، للإغارة على آخر بلد درعة[5] التابعة للمغرب، فأكلوا كل ما وجدوه في أحد الأسواق[6].

ـ ثانيا: في عهد محمد الشيخ(1544–1557م):

جهز محمد الشيخ، الذي حكم بعد أخيه أحمد الأعرج، حملة عسكرية (1556–1557م) استولت على تغاز، وقتلت رئيس الممالح وعدد من الطوارق[7]، فكان رد فعل الأسكيا داود مقاطعة ممالح تغاز، واختيار مكان آخر يسمى تغاز الغزلان[8]، وذلك سنة1562م[9]

ثم تطور الأمر بعد ذلك إلى التفاهم على أساس أن يتخلى السلطان السعدي عن بعض خراج الممالح للأسكيا، مقابل تسريحهم بيع الملح ببلاده.

---

(1) هو الأمير أحمد بن محمد الشريف السعدي، شهرته الدرعي، ويلقب بالمهدي والإمام، وهو أبو العباس أحمد الأعرج وهو الأمير السعدي الأول بعد مؤسسها محمد القائم بأمر الله. ينظر، مجهول، **تأريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمادرية** نشره جورج كولان، مطبوعات معهد العلو العليا المغربية، 1934م، ص5.

(2) السعدي، المصدر السابق، ص99.

(3) نفسه.

(4) الطوارق: تسميتهم نسبة إلى طارق بن زياد أو لطرقهم الصحراء والتوغل فيها، ينتسبون إلى صنهاجة والتي منها لمتونة ومسوفة و جدالة يتوزعون على الصحراء ولا يستقرون وهم على دين الإسلام، ويطلق عليهم اسم الملثمين. ينظر محمد لسان الدين بن الخطيب، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، صححه البشير الفورتي، ط 1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، بدون تاريخ، ص6- 8. المبروك الدالي، المرجع السابق، ص216.

(5) درعة: مدينة صغيرة من جنوبي المغرب تقع غرب مدينة سجلماسة، بنحو سبعة مراحل (المرحلة هي مسافة سير يوم وليلة). ينظر، البكري، المصدر السابق،ج 2، ص 845، 846. و شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، 5 ج، بيروت، 1977م، ج 2، ص451.

(6) عبد القادر زبادية ، مملكة سنغاي ... ، المرجع السابق، ص88 .

(7) S. M. Cissoko, op. cit, p 90.

(8) تغاز الغزلان: تقع إلى الجنوب من تغاز. الباحث.

(9) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص88.

ـ ثالثا: في عهد أحمد المنصور[1] (1578ـ1603م) :

واصل أحمد المنصور طلب من سبقوه، فبعث للأسكيا داود بشأن تغاز، الذي جاء رده هدية من عشرة آلاف ذهبا لـ: أحمد المنصور[2]، فكان ذلك أساس المحبة والمودة بينهما، ووضعا أساس علاقات صداقة بين الدولتين، حيث يتخلى السلطان السعدي على الممالح لأسكيا مقابل نصيب معلوم من المال[3]. وقد حزن المنصور على وفاة داود 1582م، وجلس للتعزية، فعزاه كبار أجناده كلهم. بعد هذا تبادل الهدايا أيضا مع الأسكيا الحاج[4]. في هذا الوقت قام المنصور بالاستيلاء على إقليمي توات وتيكورارين، القريبين نسبيا من بلاد السودان في 1583-1584م، ثم غزا إلى جهة الجنوب الغربي؛ وادان في منطقة الحوض الحالية بموريتانيا، ومجرى السنغال، وقد تمكن من هذه المناطق وغنم منها. لكن لما صرح المنصور بأحقية ممالح تغاز، وطلب مالا مقابل أخذ الملح، للاستعانة بهذا المال في أعمال الجهاد. رفض الأسكيون طلبه، فوجه حملة سنة 1986م تمكنت من احتلال تغاز، فجاء رد الأسكيين مقاطعة ملح تغاز، واستغلال منجم آخر يبعد عن الأول بحوالي 150كلم إلى الجنوب عرف باسم تاوديني[5]. وفي سنة 1589م كان آخر طلب لتسليم الممالح حيث وجه المنصور رسالة للأسكيا إسحاق الثاني، هذا الأخير أرفق صحبة جوابه خوذة عسكرية وسلاسل يكبح بها العبيد[6].

---

(1) أحمد المنصور: هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد المهدي ولد بفاس سنة (956هـ/1549م)، يصل نسبه حسب ابن القاضي إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. درس في عده مراكز علمية منها: الأدب، التاريخ، التراجم الرياضيات، التفسير......وله مؤلفات نذكر منها: " المعارف في كل ما تحتاج الخلائف"، تولى حكم الدولة السعدية بعد معركة واد المخازن او الملوك الثلاثة 986هـ/1578م، فلقب بالمنصور، و بالذهبي لوفره الذهب واستعماله بالسكة بعد معركة واد المخازن أو بعد غزوه لبلد السودان 1591م. ينظر، أبي العباس بن محمد المكناسي (ابن القاضي) **درة الحجال في أسماء الرجال**، 4 ج، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط 1، دار النصر للطباعة، تونس، 1970م، ج 1 ص106- 119. و شوقي أبو خليل، **معركة وادي المخازن**، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1988م، ص 37،38. و ناصر الدين سعيدوني، أحمد المنصور الذهبي، **معجم مشاهير المغاربة**، جامعة الجزائر، 1995م، ص 25،26.

(2) السعدي، المصدر السابق، ص 111 .

(3) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 62 .

(4) السعدي، المصدر السابق، ص 111.

(5) عمار بن خروف، المرجع السابق، ص 132،133 . و

S. M. Cissoko, op. cit, p 92. M. Delafosse, op. cit, pp163,164.

(6) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 92.

ج ــ التأثيرات الخارجية الأوروبية:

يلاحظ من خلال دراسة للاكتشافات الجغرافية والمكتشفين الأوائل، وعلى رأسهم "هنري الملاح"، أن جل مأربه كان مواصلة عمل الصليبيين، بمحاولة للالتفاف حول ديار المسلمين، وحصارها من الوجهتين الحربية والتجارية، مع انتزاع تجارة الذهب وغيرها من حاصلات إفريقيا الغربية من يد المسلمين[1].

لقد بدأ هنري الملاح(1394–1460م) الابن الثالث للملك يوحنا؛ مهمته باكتشاف شاطئ إفريقيا، إلى الجنوب من مراكش، بغية الاهتداء إلى مملكة مسيحية وهمية؛ هي مملكة الحوري يوحنا، والتعاون معها لضرب المسلمين؛ مسلمي مراكش من الوراء ولعله ليس بالمصادفة أن ارتبطت حركة الاكتشافات بـ:البرتغال والإسبان أشدّ الدول عداوة للمسلمين والعرب[2] .

لكن مغامرة البرتغاليين وصلت حتى نهر النيجر والرأس الأخضر ثم وصلوا إلى ما وراء الصحراء إلى غينيا التي كانت وقتئذ سوقا كبيرة للذهب المجلوب من تنبكت وهناك افتتحوا تجارة الرقيق التي كانت من نتائجها، فرض اعتناق المسيحية [3].

وقد كانت هناك فكرة تراود هنري الملاح؛ تتمثل في وجود علاقة بين نهر السنغال شرقا و منابع نهر النيل، وكذا بلاد أثيوبيا المسيحية، بحيث يستطيع أن يفتح طريقا مائيا عبر إفريقيا من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر[4].

وها هو كريستوف كولومبس Christopher Columbus مكتشف القارة الأمريكية سنة1492م، لا يكل من التأكيد في يومياته، أن الحصول على الذهب، ليس له هدف سوى المساعدة في تحرير بيت المقدس[1].

---

(1) هربرت فيشر، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، ترجمة زينب عصمت راشد و عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف القاهرة، 1970م، ص79.

(2) شمس الدين الكيلالي، الإسلام و أوروبا في القرن 16م " الحرب والتجارة"، **مجلة الاجتهاد**، عدد 36، سنة 9، دار الاجتهاد، بيروت، 1997م، ص 14.

(3) جورج حداد و بسام كرد علي، **مختصر تاريخ الحضارة العربية في الأزمنة الحديثة**، ط 2، دمشق، بدون تاريخ ص19.

(4) شمس الدين الكيلالي، المرجع السابق، ص18.

قام الأوربيون في هذا الوقت بنشاط متزايد للاكتشافات الجغرافية لأهداف اقتصادية بالبحث عن الطريق المؤدي للهند، وبهذا أرادوا السيطرة على التجارة الإفريقية عن طريق "ريودي أورد "، أوعن طريق نهر السنغال ونهر النيجر، و زاد اهتمامهم بالسلع الإفريقية كريش النعام و الأبنوس...، وحتى العبيد كانوا يهمونهم، حيث ظهرت حاجتهم إلى الأيدي العاملة الإفريقية لاستخدامها في أمريكا اللاتينية وجزر البحر الكاريبي [(2)].

وفعلا فقد تنبه الإسبان إلى السواحل الإفريقية الغربية، لاستغلال خيراتها؛ خاصة وأن هذه الأخيرة اضطربت فيها الأوضاع بعد معركة واد المخازن وزوال إمبراطوريتهم فحسب الرسالة، التي وجهها الإسباني"Melchior de petoney" إلى "Mignel de moura"، فإن جزيرة Argun القريبة من الرأس الأخضر عند مصب نهر السنغال في المحيط الأطلسي، والمناطق الإفريقية المجاورة لها؛ بلاد غنية جدا بالقمح والشعير والماشية والفواكه ومعادن الذهب، فأهالي المنطقة يجلبون ذهب بلادهم إلى المغرب أو تنبكت. فلو قام "فليب الثاني" ملك إسبانيا، وأرسل سفنا محملة بالمصنوعات الزجاجية والخناجر والأجراس والثياب والمرايا وغيرها؛ لمبادلتها مع الأهالي بالذهب لعاد ذلك بالفتح العميم على إسبانيا، بدلا من ترك هذه الخيرات "للمنصور"، وقد استولى فعلا الإسبان على هذه الجزيرة المذكورة، وأخذوا يتاجرون منها مع المناطق المجاورة[(3)].

(1) تزفيات تودورف، **فتح أمريكا مسألة الآخر**، ترجمة بشير السباعي، ط 1، القاهرة، 1992م، ص17.

(2) يحيى جلال، **المغرب الكبير عصور حديثة وهجوم الاستعمار**، دار النهضة، بيروت، 1981م، ص 42.

(3) محمد رزوق، العلاقات العربية الإفريقية في القرن 16م، **مجلة البحوث التاريخية مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي**، عدد 2، سنة 7، 1985م، ص 86.

د ــ أسبــاب الحمــلة:

نريد من خلال دراستنا هــذه، أن لا نخوض غمار التوقعات والظنون[1]؛ لأن محاولة استخلاص الأسباب الحقيقية لأي موضــوع ليس بالأمر اليــسير، ولاســيما أننــا أمــام موضوع حساس فقيــر المادة.

لذلك فإننا نعتمد على رسالة أحمد المنصور(ينظر الملحق 2،1) الموجهة إلى الأســكيا إسحاق الثاني[2] وننظر لها نظرة مباشرة لاستشفاف الأسباب منها؛ والتي تحمل وتتضمن في محتواها مجمل الأسباب التي دفعته للتوسع اتجاه بــلاد السودان، وعلى رأسها الدافع الديني ممثلا فــي الجهاد، لمواجهة الغزو الأوروبي للقارة.

---

(1) هناك وجهة نظر أخرى تخالف نظرتنا لدوافع الحملة المغربية السعدية على بلاد السودان هي:

يرى الباحث أبيولا فيليكس إيروكو Abiola Félix Iroko أن هناك **دوافع نفسية** خفية وراء مشروع الحملة ويفسر ذلك انطلاقا من النقاط الآتية:

- أن الأوضاع الجيوسياسية خلال القرن 16م هي: شرق البلاد انسدت باستيلاء الأتراك عليها، أما الشمال فقد انسد منذ سقوط غرناطة1492م على يد الإسبان. ومن جهة الغرب المحيط الأطلسي، فهذه الأوضاع ولدت قلقا نفسيا، فبدا البحث عن منفذ باتجاه الجنوب حلا لأزمة التوسع المغربي.
- أن العلاقات المغربية السودانية (مبادلات تجارية عبر الصحراء و صداقة) بين المنطقتين ولدت تصورا لدى المغربيين لميلاد وحدة العالم الصحراوي ، ومع مرور الزمن اعتبر طبيعيا السودان النيجيري كامتداد للإمبراطورية الشريفة السعدية ، وهنا يتجلى الجانب الديني النفسي من خلال هذا التصور للوحدة.
- أنه من الصعب أن نفهم الميل المفرط للمنصور بالسودان غرب إفريقيا خارج الإطار العائلي (فأمه محظية سودانية وأبوها من الفولان) ـ لم يوثق لهذا الإطار العائلي ـ فقد كان المنصور منذ طفولته قد أحب و استهوى قصص أمه، التي في معظمها من السودان فهذه الخاصية المشتركة تعبر عن رغبة المنصور في ضرورة الوحدة السياسية بلاده ببلاد السودان.
- أن أسطورة الذهب و القصص الخرافية عن ذهب السودان ولدت أطماع جشعة في الأوساط السياسية المغربية الباحثة دائما عن هذا المعدن الثمين .

في حين يرى أن عامل الدين (توحيد المسلمين، الجهاد...) احد العوامل المهمة في التحضيرات النفسية للمغربيين من خلال نسبهم الشريف، حتى اعتقدوا أنهم مؤهلين لتوحيد المسلمين و منافسة الدولة العثمانية في الخلافة.

ويخلص للقول بأن الخواطر النفسية والدينية للحملة المغربية على بلاد السودان، لها ثلاثة مصالح لخدمة حجة المشروع هي: منحته صفة التمدن والتحضر، وتكييف الرأي العام المغربي اتجاه الموافقة على المشروع، وإعطاء أطراف أخرى من المجتمع الإسلامي دليل ديني وأخلاقي لاعتماد الأشراف القوة اتجاه بلد مسلم.

وهكذا يرى أن العوامل النفسية والدينية لمشروع الحملة المغربية السعدية على بلاد السودان النيجيري، لا تشكل في الحقيقة إلا واجهة بريئة للجشع والطمع. ينظر،

Abiola Félix Iroko, Motivations psychologiques et religieuses de la conquête de Gao par le Maroc en 1591, **le Mois en Afrique**, N° 221-222, jui 1984, pp142-155.

(2) عبد الله كنون، **رسائل سعدية**، دار الطباعة المغربية، المغرب، 1954م، ص132- 136.

Georege Pianel, Les préliminaires de la conquête du soudan par Moulay AHMED ALMANSUR, **revue Hesperis**, T 6, 1953, p 195.

- الدوافع الدينية:

[1] لقب أمير المؤمنين: تمثل في لقب أمير المؤمنين، خاصة بعد أن اتخذ الأسكيا الحاج محمد هذا اللقب، الذي أصبح مصدر قلق للسعديين، حيث رأوا أن هذا اللقب حق لهم وحدهم في المنطقة، لأنهم سلالة الدوحة النبوية الشريفة، وليس في إفريقيا والمغرب وبلاد السودان، ولكن في كل العالم الإسلامي[1]. واعتبروا اتخاذ الأسكيا لهذا اللقب منافسة لهم في الزعامة الروحية بإفريقيا، وأنه بذلك يتعدى مركزهم الروحي والسياسي، بل أنهم كانوا يرفضون الدعاء للسلطان العثماني بالخلافة[2]. ومن ثمة اعتبروا حاكم سنغاي معزولا شرعا، ما لم يوافق الدخول في طاعتهم، والاعتراف بخلافتهم.

[2] توحيد المسلمين بغرب إفريقيا: كان المنصور يرمي بهذه الحملة إلى جمع كلمة المسلمين في غرب إفريقيا، وتوحيد قواتهم للوقوف صفا واحدا أمام الهجمات الخارجية، التي يمكن أن يقوم بها الإسبان، بصفة خاصة، أو غيرهم من الأوروبيين الذين كانوا يتربصون ببلاد السودان الغنية، وذات السواحل الإستراتيجية، التي تتحكم في طريق الهند البحرية[3] ـ وتظهر هذه المنافسة في قولهم " ...بدلا من ترك هذه الخيرات للمنصور..."ـ. ونتبين ذلك من" ...ندعوكم إلى ما فيه إن شاء الله الخير العاجل و....وهي طاعة الله رسوله...ثم مداينة الله بمفروض طاعتنا والدخول فيما دخلت فيه جماعة المسلمين من مبايعتنا والإئتمام بشريف إمامتنا....وتمتثلوا أوامره

(1)عبد الفتاح الغنيمي، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، 3مج، ط 1، القاهرة، 1994م، ج5و6، دراسة في التاريخ الإسلامي(بني حفص وبني زيان وبني مرين. بني وطاس والسعديين وظهور الأشراف العلويين)، ص204.

(2) إن مسألة الخلافة قد نظر لها السلاطين السعديون من خلال نسبهم الشريف وأن الخلافة في قريش وغيرهم متغلب، ومن هذا المنطلق اعتبروا بأن سلاطين بني عثمان أعاجم لا تصح الخلافة فيهم وبالتالي لا يجب الاعتراف بنفوذهم، حتى ولو أدى ذلك إلى خوض حرب ضدهم. فها هو الزياني المتأخر عن عهد الدولة السعدية يقول: " ومن الفرض في علم النسب أن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز ولا تصح إلا في ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ولو وسع جهل هذا لأمكن إدعاء الخلافة لمن لا تحل له، وهذا لا يصح أصلاً ". ينظر، أبو القاسم الزياني، **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**، تحقيق محمد بيضون، بيروت، 2003م، ص45. للمزيد عن الموقف السعدي من الخلافة العثمانية، ينظر، القادري و الوفراني و المقري و.... .

(3) محمد رزوق، المرجع السابق، ص 100.

الشريفة فيما افترض الله لهذه الخلافة النبوية من السمع والطاعة...والانخراط بمبايعتنا في سلك الجماعة..."[1]. وحسب هذا فإن المنصور يريد توحيد المسلمين منافسة للخلافة العثمانية. وقد صنف البعض دافع توحيد المسلمين في خانة الذرائع لمهاجمة سنغاي[2].

3) الجهاد كعامل أساسي للحملة: تصب كل هذه العوامل في عامل واحد، هو عامل الجهاد، الذي يركز عليه المنصور في رسالته إلى الأسكيا إسحاق الثاني "...وقصدنا بما يحصل من ذلك صرفه إن شاء الله، في سبيل الغزو والجهاد، في أرزاق ما لنظرنا العلي من العساكر والأجناد، التي جعلناها لنكاية عدو الله بالمرصاد، واعتدناها للذود عن كلمة الإسلام وحياطة البلاد والعباد..."[3]. وهذا نضعه موازاتا لما أخبرنا به محمود كعت والسعدي، من فساد أخلاقي، بل نستطيع القول من خلال عبارة السعدي"...بدلّوا نعم الله كفرا..." ، أنّ بعض الأهالي ارتدوا عن الإسلام.

فعامل الجهاد يبرز أهمية الدور المغربي في إنقاذ المنطقة:

- لقد قامت الدولة السعدية على الجهاد ضد الاحتلال البرتغالي، ومن هذا المنطلق كانت عملية الغزو من ضمن المهام المنوط بها دينيا وجغرافيا[4].
- كانت هذه العملية، كرد فعل مباشر ضد سقوط الأندلس، وما كان يعانيه ما تبقى من المسلمين هناك، لذلك فلا غرابة أن نرى وقوف الأندلسيين المطرودين، والسعديين صفا واحدا لإنقاذ بلاد السودان، وإعادة تركيز الإسلام به[5].
- الوجود الأجنبي بالسواحل المغربية، وتطلع أوروبا المسيحية إلى جولة انتقامية فوق البرّ الإفريقي[6].

---

(1) عبد الله كنون، المرجع السابق، ص137،139.

(2) Slimane Chikh...al, **Le Maghreb et l' Afrique subsaharienne**, paris, 1980, p174.

(3) عبد الله كنون، المرجع السابق، ص 134.

(4) محمد رزوق، المرجع السابق، ص99.

(5) نفسه.

(6) شمس الدين الكيلاني، المرجع السابق، ص74.

ـ الدوافع الاقتصادية:

تحدثنا أثناء العلاقات المغربية ببلاد السودان، عن مشكلة تغاز، هذه الأخيرة اعتبرها أغلب المؤرخين، الدافع الرئيس للحملة، ثم أنّ تدهور اقتصادي، دفع السلطان السعدي الإعلان عن غزو توات عام 1583م، والحملة على غاو(كاغ) عام 1591م، للبحث عن الذهب[1]. لكننا نعرف أن ممالح تغاز معروفة لدى المغاربة، وكذلك ذهب ونقاره Wangara[2] وبامبوكBambouk[3] معروف لديهم هو الآخر، منذ زمن إمبراطورية غانا. والمغرب في تلك الفترة، والفترات التي تلتها على درجة من القوة تمكنهم من السيطرة على المنطقة بسهولة، وأن المغرب كان في غنى عن الممالح، بعد معركة وادي المخازن1577م، التي غنم منها ما جعل السلطان أحمد المنصور يلقب بالذهبي[4]. فالمشكلة هنا أن تغاز ثروة تجارية هامة لا تنتمي لأي المنطقتين، بل يستفيد منها الجميع، وأن سيطرة إحداهما عليها يؤدي بالنزاع حولها. لكن لما رأى المنصور أنه أولى بالخلافة، وضرورة توحيد المسلمين، وجب عليه تنظيم الاقتصاد، إن ثبتت الأولى شرعا ؟؟؟. ففرض عنها خراجا، رفضه الأسكيا إسحاق الثاني برد سلبي ومثير[5].

ـ الدافع المباشر:

استنجاد أخ الأسكيا إسحاق الثاني بأحمد المنصور، للرجوع إلى العرش: ساعدت الظروف السلطان أحمد المنصور، بوصول أحد أفراد الأسرة الحاكمة في سنغاي، إلى مراكش يطلب مساعدة عسكرية من المنصور للوصول إلى الحكم "...ولد كرنفل وهو رجل من خدام أمراء سنغي غضب عليه الأمير أسكيا إسحاق الثاني فبعثه إلى رسم السجن بتغاز...فهرب إلى مراكش...وحضه على أخذ الأرض من أيديهم..."[6]،"...كتاب

---

(1) Jean-Louis Miége, **Le Maroc**, le presse universitaires de France, paris, 1966, pp 32,33. و M. Deschamps, op. cit, p 48.

(2) ونقاره: تقع اليوم إلى الجنوب الغربي من العاصمة باماكو بجمهورية مالي. ينظر، المبروك الدالي، المرجع السابق ص281.

(3) بامبوك: تقع إلى الجنوب الغربي من العاصمة باماكو بحوالي 300كلم. ينظر، نفسه، ص282.

(4) نفسه، ص198.

(5) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص92.

(6) السعدي، المصدر السابق، ص137.

أخيه..يطلب فيه الإمداد بالعساكر..."[1]، فكان هذا السبب بمثابة الورقة الأخيرة، التي تضمنتها رسالة أحمد المنصور للأسكيا إسحاق.

2 ـ الإرهاصات الأولى للحملة:

بعد أن رفض حكام سنغاي التفاهم حول موضوع ممالح تغاز، التي كانت حجة المنصور الظاهرة، في حين كان بناء وحدة إسلامية قوية؛ هو السبب غير المعلن، حتى لا يتعرض لمخاطر من جانب القوى الأوروبية، التي تعارض كل تقارب إسلامي، منذ ذلك الوقت[2].

كان المنصور قد بعث عينا له إلى غاو ـ بعد رفض الأسكيا الحاج محمد الثاني ـ والذي التقى معه في فاس بعد أن عاد من بلاد السودان، وكان قد أقام بها ثلاث سنوات في خدمة بلاط الأسكيا، إلى غاية سنة 1589م؛ فزوده بمعلومات مفصلة عن ضعف مملكة سنغاي، واضطرابها في أواخر أيامها[3]. وفي هذه السنة أيضا، يصل إلى مراكش أحد الأسكيين ـ أخ الأسكيا إسحاق الثاني أو خادمه ـ هاربا من سجن تغاز، فأخبر بمجيئه، عن أخبار سنغاي، وبما كانوا عليه من الأحوال الذميمة، والطبائع الرذيلة، وأكد على ضعف القوة، وحضه على أخذ الأرض من أيديهم[4].

بعد أن تأكد المنصور من ضعف إمبراطورية سنغاي؛ سياسيا، ودينيا. من خلال عيونه، ومن أهل سنغاي نفسها، قرر توجيه حملة إلى هذه البلاد.

وقد استند إلى فتاوى العلماء المغاربة ليكسب حملته صفة الشرعية، الذين أجازوا له التدخل؛ حماية للإسلام، وصونا للأراضي الإسلامية، وعملا على الوحدة الإسلامية[5]

---

(1) أبي فارس عبد العزيز الفشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، 1972م، ص124.

(2) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص212.

(3) الفشتالي، المصدر السابق، ص 121،122.

(4) السعدي، المصدر السابق ، ص137.

(5) الفشتالي، المصدر السابق ، ص122.

كذلك قام باستشارة عالمين كبيرين، من علماء مصر هما: أبو عبد الله محمد بن يحيى الشهير بـ بدر الدين القرافي[1]، والإمام العارف بالله أبو عبد الله محمد الشيخ أبي الحسن البكري[2]، وقد أجازا له توحيد البلاد الإسلامية، في ظل الخلافة السعدية الشريفة، ومن ثمة القيام بالحملة إن رفض طلبه[3].

بعد هذا وجه المنصور رسالته، التي يدعوا فيها بأحقية ملكية ممالح تغاز، وأنه أولى بها من الأساكي؛ لأنه المانع، والحاجز لهم من الكفرة النصرانيين إلى غير ذلك[4].

وقد استعمل المنصور ضمن رسالته ما هو موافق للشرع، حيث أوصى رسوله أن يبدأ بدفع الرسالة الثانية للأسكيا إسحاق، لما فيها من لين القول وحكم الشرع، وهي تتضمن إطلاعه على فتاوى العلماء والفقهاء، من أن النظر في المعادن ، إنما هو للإمام لا لغيره ثم تبليغه ما فرضه المنصور من خراج على تعدين الملح في تغاز، وأخيرا الاعتراف بالمنصور كخليفة للمسلمين والدخول في طاعة الدولة السعدية. فإذا استجاب فذاك، وإن رأى منه تمنعا أطلعه على الرسالة الأولى، ليتأكد من صدق التهديد بالعساكر، التي طلبها أخوه، وبإمكانية مساعدة أخيه، الذي هو مستعد لإعلان طاعة المنصور. "...فإن لجّ بعد هذه الاعتذارات كلها...صدقت عليه الحجة.."[5]. (ينظر الملحق رقم1و2).

وأجاب الأسكيا إسحاق الثاني، على رسالة المنصور، إجابة سلبية، ومثيرة، وأرفق جوابه بخوذة عسكرية، وسلاسل يكبح بها العبيد[6]. فلم يساعفه الأمير أسكيا إسحاق، بما طلب من التسليم في ذلك المعدن، بل قبح له الكلام في الجواب، وبعث له صحبة جوابه

---

(1) هو بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر بن أحمد بن يوسف القرافي، عالم لغوي، فقيه مالكي، من أهل مصر، ولي القضاء بها، ولد سنة 1533م/939هـ، وتوفي سنة 1600م/1007هـ. له مؤلفات منها: "القول المأنوس بتحرير ما في القاموس" وقد أجاز للمنصور إجازة عامة، وختمها يقول: أجزت لمن تفضل وأستجازا وبادر لاقتنا خير وحازا
وذلك بعد تشريفي بأمــــر وقصد للإجازة فاستجازا

ينظر، أحمد بن خالد الناصري السلاوي، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، 15ج، تحقيق أحمد الناصري منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المغرب، 2001م، ج 5، هامش ص 120.

(2) هو أبو المكارم مشمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمان البكري الصديقي، عالم، أديب، شاعر متصوف، مؤرخ، وفقيه مشارك. ولد سنة 1524م/930هـ بمصر، وتوفي بها سنة 1586م/994هـ، خلف العديد من المؤلفات في شتى المجالات. ينظر، نفسه، هامش ص119.

(3) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 213،214.

(4) السعدي، المصدر السابق، ص 137.

(5) الفشتالي، المصدر السابق، ص 125.

(6) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 92. ينظر، السعدي، المصدر السابق، ص 138.

حرشانا، ونعلين من حديد[1]. وأخر الوفد، بتأخير الردّ على جوابه[2]، ذلك لمّا وصلت الرسالة إلى الأسكيا إسحاق، شق عليه تنفيذ مطالبها حسدا للمنصور، وخشية من ردّة فعله سوّف، وأخر بالرسول، فتفطن المنصور لذلك، وغضب عليه، وبذلك عزم لغرضه[3].

لمّا وصل الوفد المغربي إلى السلطان أحمد المنصور الذهبي، وسلمه الهدية، أعلمه بما جرى بينه وبين الأسكيا إسحاق من حديث. عندئذ عزم وقرر المنصور، إعداد حملة عسكرية لتوجيهها على بلاد السودان، وقبل ذلك جمع رجال دولته؛ الوزراء، والحكام وزعماء القبائل الكبيرة، إلى اجتماع يحصل فيه على موافقتهم للقيام بالحملة وفتح بلاد السودان، وذكر أهدافها، التي منها توحيد بلاد المسلمين، وأن السودان الغني يعطي القوة لجهاد الكفار، حيث أكد على عزل الأسكيا شرعا. وفي أثناء عرض هذه القضايا، أبدى البعض شكهم في نجاح الحملة، بحجة صعوبة اجتياز الصحراء، وعدم تفكير أية دولة من الدول السابقة ــ المرابطين، الموحدين، المرينية، الوطاسية ــ في غزو بلاد السودان لكن في النهاية وافق الجميع على فكرة المنصور[4]. وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا وأشاروا عليه بالتدخل في السودان الغربي[5].

أ ــ التحضير للحملة:

بعد أن تهيأت الظروف، من الضعف السياسي والديني، وما زاد الأمور ملائمة جواب الأسكيا إسحاق الثاني على رسالة المنصور، التي يدعوه فيها للطاعة، وأخيرا جاءت موافقة أهل الشورى للمنصور على الحملة.

منذ تلك الفترة خلال عام 1589م/998هـ، بدأ السلطان أحمد المنصور يعدّ العدّة وأهتم بنفسه شخصيا بالإشراف على ما تتطلبه الحملة من وسائل و معدات[6]. وقام

(1) السعدي، المصدر السابق ، ص 137.
(2) المبروك الدالي، المرجع السابق، ص200.
(3) الفشتالي، المصدر السابق، ص 126.
(4) محمد الصغير بن الحاج الوفراني النجار المراكشي الوجار، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق هوداس، أنجي، 1888م، ص 76،77. ينظر، الفشتالي، المصدر السابق ، ص 126- 128.
(5) موسى بن أحمد السعدي، **زهور البساتين في تاريخ السوادين**، مخطوط ، ورقة 113و114. ومجهول، **تاريخ أزواد في خبر البرابيش**، مخطوط، ورقة 4. نقلا عن، المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 200.
(6) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 216.

المنصور قبل إرسال حملته؛ بمراسلة علماء، و رجال الدين، والقضاة في سنغاي، ومنهم القاضي عمر بن محمود بن عمربن محمد أقيت[1] قاضي تنبكت، المسموع الكلمة في بلاد السودان، ليعرض عليه؛ الدخول في طاعته، والدعوة لخلافته القرشية، وإمامته على مسلمي البلاد[2]. "... ففي المحرّم 1590م/999هـ تحركت القوات، بعد أن حمّل الذهبي قائدها، بجملة من النصائح، ورسالتين: ـ الأولى إلى سيدي محمد بن إيد[3].

ـ الثانية إلى قاضي مدينة تنبكت عمر بن الشيخ محمود بن عمر بن محمد أقيت.

وفحوى الرسالتين يأمرهما بلزوم الجماعة، وخصّ الذهبي، بن إيد في رسالته بعبارة "..فانظر حال السلطان وصلاحه سبحان من خصّ من شاء بما شاء..."[4]. وأصدر المنصور أوامره لقائده جودر باشا[5]، إذا ما لقي الولي الصالح الشيخ أحمد بن إيد، أن يستشيره في حال دخوله، فإنه ولي القطر[6].

وهنا نتساءل عن سبب ـ اختيار المنصور الباشا جودر قائدا للحملة.

ـ لماذا ركّز على هاتين الشخصيتين من بلاد السودان؟.

لقد أورد الفشتالي أنّه جاء اختيار المنصور على جودر، بناء على معطيات متمثلة في شخصية جودر الفريدة، وذكاءه المفرط. كما يفيد بأنه هو الذي قاد جيش المنصور عند

---

(1) عمر بن محمود بن عمر بن محمد أقيت، المعروف بـ: القاضي أبو حفص، تولى القضاء في تنبكت آخر سنة 993هـ كان من بين علماء تنبكت، المرحلين إلى مراكش، توفي في بداية عام 1003هـ في مدينة مراكش. ينظر، أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق محمد حجي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص 178.

(2) الفشتالي، المصدر السابق، ص131- 133.

(3) من عائلة بن آد بالسودان، ومنهم أبو بكر بن محمود إيد، أحد أئمة العلماء العاملين والأولياء الصالحين العارفين، توفي سنة 1004هـ. ينظر، مولاي أحمد بابير الأرواني، **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية**، تحقيق الهادي المبروك الدالي، ط 1، ليبيا، 2001م، ص 98.

(4) المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 202.

(5) جودر باشا: ولد بـ Las Guevas بمملكة غرناطة، عاش بقصر المنصور منذ صغره، وكان قصير القامة أزرق العينين، قيل أصله إسباني أو برتغالي، وجودر باشا ذو حزم وعزم وقوة على الحرب. ينظر، السعدي، المصدر السابق ص 137. و ابن القاضي، المصدر السابق، ص 235. و

H. De Castries, La conquête du soudan par EL-MANSOUR 1591, **revue Hespéris**, T3 1923, p 445.

(6) المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 202.

غزوه توات وتيكورارين[1]. ومن هذا فقد جاء الاختيار على شخصية لها معرفة بالصحراء.

أما عن اختيار عائلة بن إيد، فإن لها وزنها الروحي في المنطقة، فأهالي السودان يتبرڭون بهم، ويسيرون وفق تعليماتهم.

أمّا القاضي في السودان، فله مكانة متميزة بين الحكام، والأهالي، فهو محل ثقة ومشورة[2].

ب ـ تشكيلة الحملة:

صمّم المنصور على أن يكون كل ما يرسله إلى بلاد السودان، سواء كان إنسان أو حيوان، أو عتاد، أو سلاح من أفضل ما تملكه دولته[3]. وكان قبل ذلك اختار القائد المناسب جودر باشا، وجعل له هيئة استشارية عليا من كبار القادة "... يرجع إليهم في مخض زبدة الآراء ومجال المفاوضة.."[4]. وهؤلاء القادة هم: مصطفى التركي مصطفى بن عسكر، أحمد الحروسي الأندلسي، أحمد بن الحداد العمري، أحمد بن عطية عمار العلجي، أحمد بن يوسف العلجي، علي بن مصطفى العلجي، بوشيبة العمري، أبو غنيث العمري. وكاهيان هما: باحسن العلجي، و قاسم الأندلسي[5].

ويتراوح عدد القوات المغربية حسب الروايات، ما بين ثلاثة آلاف(3000)، وإثنتين وعشرين ألفا(22000)[6]، فيهم الرماة والصناع والأطباء وغيرها[7]، والمعلمين المتطوعين بأنفسهم[8].

إلا أننا نعتمد كمثال لتلك التقديرات، التي قدّمهاDe Castries استنادا إلى مجهول إسباني عن عدد هذا الجيش وتكوينه وهي:

---

(1) الفشتالي، المصدر السابق، ص 131،159.
(2) المبروك الدالي، المرجع السابق، ص202.
(3) الفشتالي، المصدر السابق ، ص129. وينظر، عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص216.
(4) الفشتالي، المصدر السابق ، ص130.
(5) السعدي، المصدر السابق، ص 138.
(6) يقدرها: السعدي بـ 6000، ص138. وكعت بـ 4000، ص146. و السلاوي بـ 22000، ص125.
(7) السعدي، المصدر السابق ، ص138.
(8) المبروك الدالي، المرجع السابق، ص201.

ـ المحاربون المشاة وهم(من المرتدين الأندلسيين المهاجرين من غرناطة)	2000
ـ الفرسان أو الصبايحية (جلهم من المرتدين)	500
ـ العرب المسلحين بالرماح	1500
ـالمجموع:	**4000**

وهذه بعض الإحصائيات، تتضمن حصيلة العتاد، الذي حملته الجيوش المغربية:

ـ النقاب	600
ـ قادة الجمال	1000
ـ الإبل	8000
ـ الخيول	1000
ـ الخيام	180
ـ البارود	300 قنطار
ـ البارود المسحوق	10 قنطار
ـ الرصاص	300 قنطار

زيادة على ذلك، فقد حمل الجيش؛ الخوذات الحديدية، الفولاذ، الكتان، القطران الراتنج(الصمغ)، محاريث، دروع، أدوات البناء، و6 منجنيقات، ومدافع[1].

رغم الاختلاف، والتفاوت في الكم(العدد)، والكيف(النوع) لتشكيلة الجيش المغربي[2] إلا أن الأغلبية تتفق على تنوعها، من رجال علم وأطباء وتجار...إلخ، ولهذا فإنها حملة

(1)H. De Castries, op. cit, pp 444,445.

(2) أغلب المؤرخين، عند الحديث عن الجيش المغربي بقيادة جودر باشا، وكأنهم يريدون القول أنها حملة أوربية، بقولهم أن جلّ الجيش إسباني، ويذهب Djibril Tamsir niane إلى القول أن الجيش مكون من المغامرين واللصوص الأوربيين منهم الفرنسيين والإيطاليين، والإنجليز، خاصة الإسبان. ويخلص Canale Jean Suret إلى أن هؤلاء المرتدين(من المسيحية إلى الإسلام)، جعلوا الإسلام قناعا لدخول بلاد السودان. ومن هذاعلينا أن نعرف أنهم يتحدثون عن الأندلسيين، والأندلسيين الأصل فيهم الإسلام، وهم المضطهدين من طرف الإسبان منذ سقوط غرناطة الإسلامية 1492م، إلا أنه شارك في الحملة عدد من الإسبان الذين دخلوا الإسلام حديثا ، وقد كان المنصور يسهر بنفسه على إقناعهم بالدخول في الإسلام ليستخدمهم في هذه العملية. ينظر

Djibril Tamsir Niane, **Histoire de l Afrique occidentale**, présence africaine, paris, 1961,p72.=

متعدّدة النوايا، ولها أبعاد إيجابية تودّ تحقيقها منها؛ تجديد الإسلام بالمنطقة، وتنظيم الاقتصاد، وإنقاذ المنطقة من التدخل الأوروبي.

ج ـ وصول الحملة إلى بلاد السودان(معركة تنديبي):

استعرضت الجيوش المغربية "الحملة" بمراكش يوم 16 ذي الحجة 998هـ/16 أكتوبر 1590م، ثم غادرت البلاد في الفاتح محرم 999هـ/أواخر سنة 1590م، وسلكت طريقا عرف فيما بعد بطريق جودر، وهذا الطريق يتجه من مراكش نحو لاكتور في أعالي وادي درعة، ومنها إلى تندوف، ثم تغاز، التي تليها تاوديني، فقرية كابارا التي تقع على نهر النيجر غربي العاصمة تنبكت[1]. فقطعوها في مائة مرحلة[2].

وصلت الحملة في ضحى 999هـ/1591م، إلى مدينة تنبكت، فاستراحت بها أياما وغادرتها صوب غاو، بقيادة جودر باشا، بقصد تأديب الأسكيا إسحاق الثاني، وعندما علم بمقدمهم، حشد لهم من أمم السودان مائة ألف، ومن الطوارق أربعة آلاف، وكانت أسلحتهم السيوف، والرماح، والحراب، والتقى الجمعان في منطقة تنديبي[3].

وجاء في كتاب تاريخ السودان، أن الأمير إسحاق الثاني تلقاهم في موضع يقال له تنكندبغ، وهو قرب تنديبيTondibi[4]، في اثنتين وأربعين محاربا، فاقتتلوا في 17 جمادي الأولى 999هـ/12 مارس 1591م، فكسروا جيش الأسكيا طرفة عين، ورجع

= Jean suret canale, **Afrique noire occidentale et centrale**, paris, 1964, p14.

محمد رزوق، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 17/16م**، ط 3، إفريقيا الشرق، الرباط، 1998م ص 185.

(1) H. De Castries, op. cit, p p(446-450.

(2) وصل الجيش المغربي إلى نهر النيجر بعد 135 يوما، من مغادرته مراكش. وإذا نزعنا منها مدة الإقامة، و وأيام الاستراحة للجيش، والأيام اللازمة للتزوّد بالماء، والأيام اللازمة لرعي الإبل، وهذه المدة تقدر بـ 85يوما، وتبقى مدة السير الحقيقية لقطع المائة مرحلة (المرحلة = مسيرة يوم وليلة بالقافلة)، بين مراكش ونهر النيجر ، تقدر بـ 50 يوم. وقد قدرها Paul Imbert ، الذي كان أسيرا بالمغرب، وسلكها مع عمار باشا سنة 1618م، بنحو 400 Lieues (الليوه = حوالي5 كلم)، فالمسافة إذن هي: 2000كلم. ينظر، السلاوي، المصدر السابق، ص 126. و

H. De Castries, op. cit, p p 448,449.

(3) المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 203.

(4) تنديبي: تقع شمال العاصمة غاو، بحوالي 30كلم. وقد وصف الأستاذ الهادي الدالي، أرض المعركة، بأنها أرض منبسطة، تتخللها أحراش، يطل عليها من الجنوب جبل طويل، بلغت مساحتها حوالي 02 كلم. ينظر، نفسه، ص 204. و

M. Delafosse, op. cit, p 165.

الأسكيا إلى مدينة غاو (كاغ) العاصمة[1]. وهناك روايات أخرى، حول تعداد جيش الأسكيين، غير أنها تفيد أن الأسكيا جنّد كل ما في استطاعته،"...ولم يقنع بالجيوش، التي جمع حتى أضاف إليها أشياخ السحرة، وأهل النفث في العقد..."[2].

استمرت المعركة من الضحى إلى قرب العصر، نجا منها إسحاق بنفسه، وقليل من حاشيته[3]، وانكسر خلالها جيش سنغاي، سريعا وبشراسة أمام الجيش المغربي، المنظم والمتخصص باستعمال الأسلحة النارية الحديثة[4]. ونجد المصادر المغربية تشير إلى البلاء الحسن، والاستماتة، التي أبداها جيش سنغاي، والمصائب، التي تعرض لها على أيدي رجال الحملة[5]، وقبل هذا كان الباشا جودر، قد بعث للأسكيا إسحاق الثاني برسالة يعرض عليه الاستسلام حقنا للدماء، لكنّه رفض. وقد عبرت بقية الجيش المهزوم نهر النيجر، تاركين وراءهم موتاهم، وأسلابا، وغنائم كثيرة[6]. وبعث الباشا جودر للمنصور بخبر النصر، مع هدية عظيمة، فيها عشرة آلاف مثقال ذهبا، ومائتان من الرقيق وغير ذلك[7].

اتجهت القوات المغربية، من ميدان المعركة تنديبي، إلى العاصمة غاو لاحتلالها، التي دخلتها يوم 20 رجب 999هـ/23 ماي 1591م، وكان إسحاق قد أمر بإحراقها، فهاجرها معظم سكانها، ولم يبق بها؛ إلا رجال الدين، والعلماء، والطلاب، والعرب غير السودانيين، ومن لم يقدر على الخروج. أمّا باقي القوات، عبروا النهر، ولم تقدر القوات المغربية على مطاردتهم[8]. لكن مفاجأة كبيرة كانت تنتظر الجيش المغربي، فالعاصمة

---

(1) السعدي، المصدر السابق، ص 141. و عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص 94.

(2) الفشتالي، المصدر السابق، ص 137.

(3) الوفراني، المصدر السابق، ص 94.

(4) Mukarovsky Hans, **Afrique d'hier et d' aujourd'hui**, trad de L'Allemand par Sumonne Hutin, Casterman, 1964, pp 59,60.

(5) مجهول، الدولة السعدية، المصدر السابق، ص 69. و الوفراني، المصدر السابق ، ص 94.

(6) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص332.

(7) الوفراني، المصدر السابق ، ص 94.

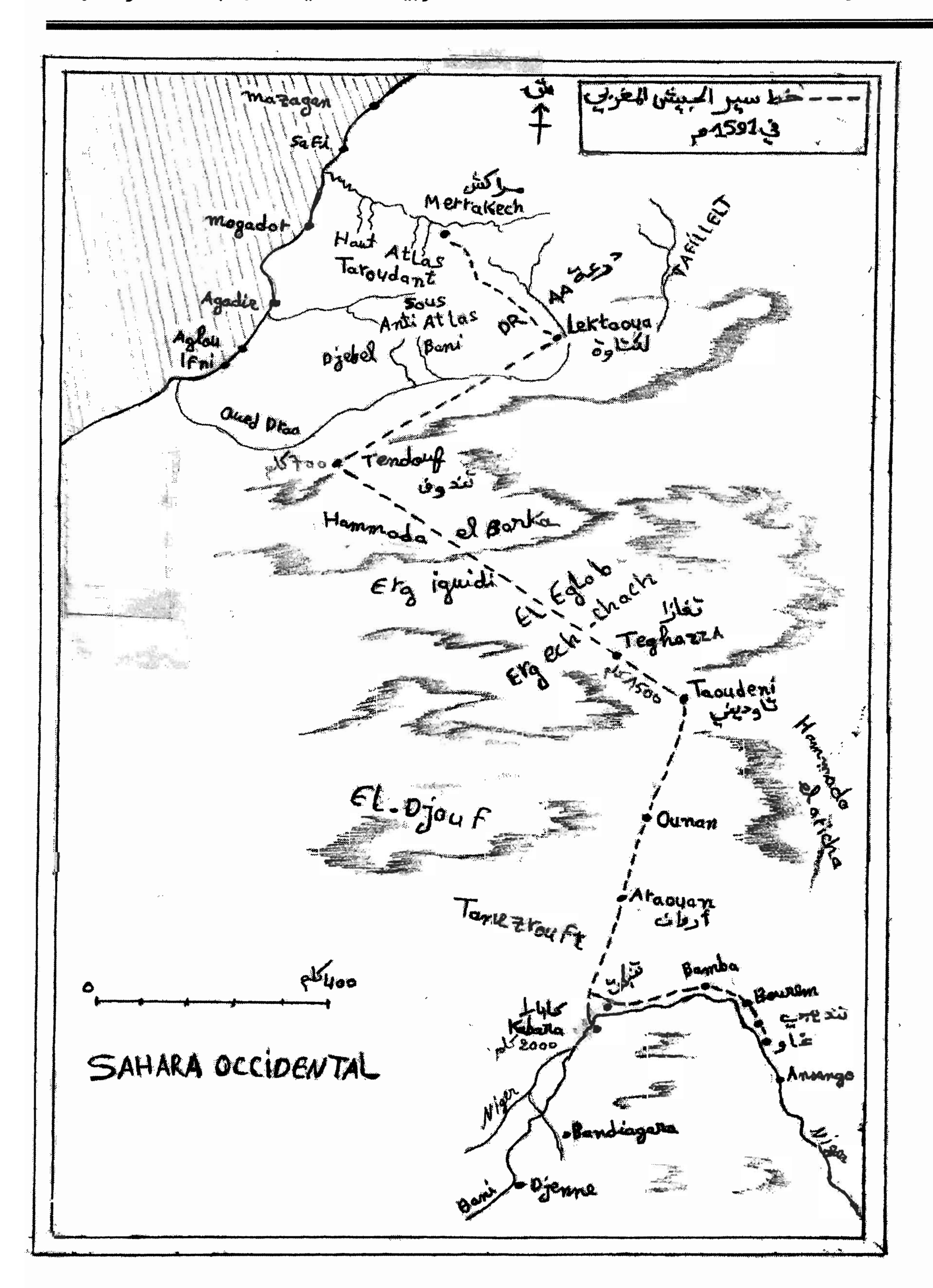
(8) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 220.

غاو المغلوب على أمرها، عبارة عن أكواخ مبنية بالطوب، مثل بقية المدن الصحراوية، وليس بها أية ثروة[1]" ...فلمّا طالعها(يقصد جودر) وعلم ما فيها حقرها..."[2].

فتح الأسكيا إسحاق الثاني، في هذه الأثناء، باب المفاوضات مع جودر، وعرض عليه الصلح، بالاعتراف بالبيعة للمنصور، ودفع مائة ألف ذهب، وألف عبد خادم، والتعهد بإرسال الخراج السنوي، مقابل الانسحاب من بلاده[3]. أجابه جودر بأنه سوف يستشير السلطان المنصور في الأمر، فكتب إليه رسالة بذلك الصلح، وانسحب هو، وجيوشه إلى تنبكت، التي كانت أفضل من العاصمة غاو[4].

لمّا وصل رسول جودر للمنصور، حاملا شروط الصلح، نقم عليه، التنفيس على الأسكيا والإفراج عنه، ورفض الصلح قائلا:"...أتمدونني بمال فما أتاني الله خير مما أتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون...ارجع إليهم فلتأتينهم بجيش لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون..."[5]. وقرّر المنصور إرسال حملة ثانية من ثمانين راميا، بقيادة الباشا الجديد محمود بن زرقون[6]، مع أمرها بعزل الباشا جودر، وطرد إسحاق من بلاد السودان[7].

(1) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 333.
(2) السعدي، المصدر السابق، ص 141.
(3) نفسه. و الوفراني، المصدر السابق، ص 94.
(4) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 333.
(5) الفشتالي، المصدر السابق، ص 148. و الوفراني، المصدر السابق، ص 94.
(6) محمود بن زرقون: أحد مماليك المخدوم أبي العباس المنصور ، له بسالة، وشجاعة، وحسن سياسة وفضل. تربى بالقصر الملكي بمراكش منذ صغره، مثل جودر باشا، لكنه أكثر منه حزما ومغامرة. ينظر، ابن القاضي، المصدر السابق ص 325. و .H. De castries, op. cit, p 455
(7) السعدي، المصدر السابق ، ص 144.



H. De-Castries, Hesperis, Op. Cit, p447.

(بتصرف)

د ــ موقف السودانيين ونظرتهم من حملة المنصور:

ذكر عدد من مؤرخي السودان الغربي، معلومات عن الحملة المغربية وسيرها، تتضح لنا من خلالها وجهة نظرهم، التي نعتبرها الطرف صاحب الرأي، الذي يرجح الكفة.

فهاهو كعت، يرجع مجيء الحملة إلى فساد أمر البلاد"... لمّا فسد أمر سنغي، شتت الله أمرهم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤون، بتضييع حقوق الله وظلم العباد...وغير ذلك ممّا يعيب به ذاكره..."[1].

وهناك من رفع درجة الحملة للجهاد، وإعلاء كلمة الله، فقد أورد صاحب الترجمان ما نصه"...واصل الباشا محمود بن زرقون الجهاد، وإعلاء الكلمة، حتى دان له الخلق وخضعت له البلاد في عامين..."[2].

وجاء في كتاب تاريخ السودان"...رماهم الله بجيش جودر، فأجتثهم من عروقهم..."، أي انتقام من عند الله "...فلحقوا بأصحاب العبرة و أهلها..."[3].

أمّا مخطوط حديقة البستان، فهو الآخر يعتبر الحملة، نقطة تحول في تاريخ المنطقة من سيء إلى أحسن[4].

وقد جدّدت الحملة المغربية منذ أن وصلت إلى كابارا[5]، نداءات الأمان للسودانيين"...واعتقدوا مع ذلك أن كل من أمنتموه من عساكرنا الطالعة براياتها البيض على تلكم الأقطار السودانية......فقد أمناه ومن أجرمتموه فقد أجرمناه..."[6]، فكان لنداءات الأمان كبير الأثر في مواقف، وتعامل الفئات المختلفة من العامة في السودان مع السعديين، التي ترمي بالرضا بالحملة.

ولهذا رحّب عدد من الأهالي بهذه الحملة، وقال فيها الشعراء شعرا، ومدحوا فيه المنصور:

(1) كعت، المصدر السابق، ص 152.
(2) الميروك الدالي، المرجع السابق، ص 205.
(3) السعدي، المصدر السابق، ص 144.
(4) المبروك الدالي،المرجع السابق، ص 205.
(5) كابارا: تقع على الضفة الغربية لنهر النيجر، حوالي 30كلم جنوب تنبكت. الباحث.
(6) الفشتالي، المصدر السابق، ص133.

بمقدم وفد المنصور حلّ بنا البشر..... وأشبعت الأرواح وانشرح الصـــــدر

بمقدم هذا الوفد يا مرحبا بـــــه ..... تراقصت الأكوان وانشرح العمــــر

فيا مرحبا حقا ويا بشرا بـــــه ..... لقد كمنا فيض كما أجبر الكــــسر

فأرض بها المنصور حلّ جديرة .... يفخر وله الإمام لها فخــــــــــر

تربع فوق الحمد لله ساجـــــدا ..... من أوصافه التسبيح والصبر والذكر

كفا بأن الشيخ أعطاه ســـــرّه ..... نشر من بحر المحبة ناهـــــــلا

وذلك بحر ليس شربه كــــــدر ..... وحاز لواء سر وظاهـــــــــــر

وكان دوام السرّ ديدنه الصبر(1)

إلا أننا لا ننفي وجود معارضين للحملة، خاصة فقهاء مدينة تنبكت من عائلـــة أقيـــت فقد ورد في أسباب اعتقالهم(ينظر الفصل الثالث)"... وليعلم أمير المؤمنين ... أنّنـــا مـــا قبضنا هؤلاء الفقهاء ... إلا أن ظهر لنا ما في نفوسهم من عداوة السلطان وبغضه..."(2).

وها هو المؤرخ السوداني جوزيف كـــي زاربـــوKi-Zarbo joseph؛ يقـــر بالأزمـــة الخطيرة التي كانت تعيشها إمبراطورية سنغاي أواخر القرن 16م، إلا أنه يصف الحملـــة بالغزو المغربي على بلاد السودان، الذي نتج عنه اضطراب عام ومجاعات وأوبئة خربت بلدان نهر النيجر خلال القرنين 17و18م(3).

في الوقت الذي يقول عنها المؤرخ زكريا دراماني إيسيفوzakari Dramani-Issofou أنها جاءت من أجل المعدن الأصفر(4).

(1) عبد الله بن سيدي مولود فال التنبكتي، الشاعر والعالم، ولد 957هـ/1550م، بمدينة تنبكت، كتب هذه القصيدة، في مدح المنصور عند قدوم جيشه للسودان، وعدد أبياتها 33 بيتا، نشر لنا منها الأستاذ الهادي المبروك الدالي 08 أبيات ينظر، الميروك الدالي، المرجع السابق، ص 205،206.

(2) كعت، المصدر السابق، ص176.

(3) Joseph Ki-zerbo, **Histoire de l'Afrique noire,** paris, 1972, pp197,200.

(4) Zakari Dramani-Issofou**, L'Afrique noire dans les relations internationales au16 siecle analyse de la crise le Maroc et le songhaï,** paris, 1982, p173.

وهكذا أكدت لنا هذه المعطيات، ترحيب السودانيين بالحملة، ورضاهم عنها، هذا في الوقت الذي عارضها البعض، وأنها كانت نتيجة، لحالة من الفوضى، وتـدني المـستوى الأخلاقي، الذي مرّت به بلاد السودان النيجيري أواخر القرن16م، ولابدّ من تغييرها.

الفصل الثاني

التحولات السياسية ببلاد السودان النيجيري(1591-1660م)

1 - نهاية إمبراطورية سنغاي:

أ - وصول محمود بن زرقون لبلاد السودان

ب - ملاحقته للأسكيا إسحاق الثاني

ج - الأسكيا محمد كاغ

- إعدام محمد كاغ

- أسباب قتله

د - استقبال السلطان السعدي لخبر نجاح الحملة

هـ - نهاية عصر الإمبراطوريات الكبرى ببلاد السودان

2 - الحكم المغربي السعدي ببلاد السودان بعد الأسكيين:

أ - المراحل السياسية للحكم المغربي ببلاد السودان- الفترة الأولى(1591-1612م)

- الفترة الثانية(1612-1660م)

ب - التنظيمات الإدارية

- التقسيمات الإدارية

- الإدارة المغربية بالمنطقة

"...عام المكمل السبعين وألف...انقطعت الخطبــة بنــصرة أولاد مولاي أحمد الذهبي في بلاد التكرور من بلد كــوكي إلــى بينا بعدما خطبوا بهم إحدى وسبعين سنة علــى جميــع منــابر مساجد التكرور إلى المدّ المذكورة......"

مجهول، تذكرة النسيان...، ص90.

1 ـ نهاية إمبراطورية سنغاي:

علمنا من خلال دراسة الفصل الأول، أن السلطان أحمد المنصور غضب من الباشا جودر لتساهله مع الأسكيا، فأمر بعزله، وأرسل محمود بن زرقون باشا جديد. يحمل تعاليم صارمة للقضاء نهائيا على الإمبراطورية، بداية بطرد الأسكيا خارج الإمبراطورية والقضاء عليه.

أ ـ وصول محمود بن زرقون إلى بلاد السودان:

تقلد محمود بن زرقون زمام الأمور، معززا بقائد كبير، كان المنصور، أسند له من ذي قبل غزو إقليمي توات[1] وتيكورارين[2]، هو القائد حمّو بن بركة[3]، وقد كانت مغادرة الجيش المراكشي، في أواخر شهر جويلية 1591م، الموافق لـ: أوائل رمضان 999هـ[4]. على الرغم أن هذا الوقت من السنة كان أسوأ الأوقات، لعبور الصحراء، فقد أمره السلطان بالرحيل حالا، وأهتم بسلامته، حيث أوصاه بالسير ليلا فقط، فالحرارة شديدة، والرياح تهب بشدة، والماء مادة نادرة في الصحراء[5]. هكذا أخذت القوات الجديدة طريقها نحو الجنوب في عزَ الصيف، وقطعت المسافة بسرعة؛ حيث وصلوا إلى تنبكت يوم 26 شوال 999هـ/17 أوت 1591م، في أمان، وفي أقصر وقت ممكن، وهو سبعة أسابيع.

---

(1) توات: تقع توات، إلى الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية، التي هي جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية، وتبعد عن عاصمة الجزائر بحوالي 1500كلم. ينظر، فرج محمد فرج، **إقليم توات خلال القرنين 19/18م**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977م، ص1.

(2) تيكورارين: واحة في وسط الصحراء بالقرب من توات. الباحث.

(3) حمّو بن بركة: هو أبي عبد الله محمد بن بركة، الذي له قائد في حملة فتح توات وتيكورارين(1583-1584م) ينظر، الفشتالي، المصدر السابق، ص149

(4) نفسه.

(5) عبد الهادي التازي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم**، 10مجلدات، المغرب، 1988م المجلد الثامن، **السعديين**، ص262.

ب ــ ملاحقته للأسكيا إسحاق الثاني:

قام محمود بن رزقون بتنظيم الجيش وتجديد القيادة، فعزل جودر باشا ــ بقي قائدا في الجيش، ويرتقي للباشوية في فترات الفراغ (نوضح ذلك لاحقا) ــ وتحوّل الجيش معه وعزل القائد أحمد بن الحدّاد، ونصّب مكانه القائد أحمد بن عطية، وقطع الأشجار والأبواب، لتجهيز قاربين لذلك[1]. ومن ثمة ترك ابن زرقون حامية عسكرية بتنبكت وخرج هو ببقية الجيش، متتبعا الضفة اليسرى للنهر، بحثا عن الأسكيا إسحاق حيث كان هذا الأخير، لما رجعت عنه العساكر المغربية إلى تنبكت، قد أعدّ العدّة وأحتشد أمم السودان المجاورين له، وعندما بلغه مجيء الجيوش المغربية إلى غاو قصدهم في جيوشه، فكان الصدام مرّة أخرى بالقرب من العاصمة، وبالضبط في سهل بنب شمالي النهر بين غاو وتنبكت، يوم الاثنين 25 ذو الحجة 999هـ/14 أكتوبر 1591م[2]. وكان الموقف نفسه بالأمس، فقد اضطر إسحاق للفرار والتراجع، بعد أن كان قد أمر بنقل الأقوات، وإخلاء العاصمة[3]، حيث طمر آبارها، ونسف مبانيها، وتركها أفقر ما تكون[4].

ترك محمود حامية عسكرية بقيادة جودر في غاو، وتبع إسحاق إلى أن لحقه بإحدى الجهات، فأوقع به شرّ هزيمة. ومرّة أخرى استطاع الملك السوداني الفرار، وعبر النهر إلى العدوة الأخرى، وقد تبعه محمود، وسار خلفه إلى أن لحقه وأوقع به مرّة ثالثة احتوى فيها على ما معه من المال والحريم[5]. ولعدم تكافؤ القوتين، فقد ضاع في هذه المعركة"...قوم لا يحصون كثرة ....لأن أكثر عدّتهم كانت حرشانا صغار وأقواس الغز والخيزران والسيوف، وجيش المغرب بالمدافع و الأنقاض.."[6]، بعدما تخلى عنه الكثير من جنوده السودانيين؛ ومن ذلك أخوه في نحو ثلاثمائة(300) من إخوته ووجوه عساكره ورؤساء دولته[7].

---

(1) السعدي، المصدر السابق، ص145.
(2) الفشتالي، المصدر السابق، ص152.
(3) الوفراني، المصدر السابق، ص94.
(4) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص262.
(5) السلاوي، المصدر السابق، ص128.
(6) مجهول، تاريخ الدولة السعدية، المصدر السابق، ص69.
(7) الفشتالي، المصدر السابق ، ص152. والسعدي، المصدر السابق ، ص 146- 148.

يؤكّد السعدي في كتابه تاريخ السودان، أن الأسكيا إسحاق لم يقتل على يد الجيوش المغربية، وإنما لمّا فضّل الفرار"...تجهز إسحاق للذهاب إلى كبِ، فلما عزم، قبض كبراء الجند اللذين اتبعوه جميع ما عنده من عدد السلطنة وآلاتها، وشيعوه إلى موضع يقال له تار، فتفارقوا معه هناك يستغفر منهم ويستغفرون منه فبكى هو ويبكون، فهذا آخر العهد بينهم..."[1]، ومن ثم توجه إسحاق إلى تنفني عند كفار كرماء، وكان قد قاتلهم العام الماضي، فاغتنموا هذه الفرصة، وانتقموا لذلك بأن قتلوه هو وابنه وجميع من معه[2].

ج ـ الأسكيا محمد كاغ:

تراجع محمد كاغ في نحو ثلاثمائة من قرابته، وعيون عساكره، ورؤساء دولته متطارحا على الجيش المغربي، بعد أن نصّبه من معه أسكيا لهم، مظهرا أنّه لم يكن على اتفاق مع أخيه إسحاق، حول موقفه إزاء المنصور، طالبا أن ينظمّ إليه في الإجهاز على أخيه، لكنّ قادة المنصور قرّروا في الأخير أن ينفردوا بمطاردة الأسكيا إسحاق، حذرا من التعرّض لمؤامرة قد تدبّر ضدّهم من طرف هؤلاء، الذين كانوا بالأمس القريب صفّ الأسكيا[3].

ولكن بعض زعماء سنغاي لم يرضوا ببيعة الأسكيا محمد كاغ، وانضموا بقواتهم للجيش المغربي "... ثم رجع الجيش إلى عند أسكيا محمد كاغ وتم له البيعة.....فشرع إخوته من أولاد أسكيا داود يهربون إليهم، فأول من هرب إليهم منهم...سليمان بن داود..."[4]. فخاف محمد كاغ من ذلك، وبعث للجيش المغربي في طلب البيعة للسلطان مولاي أحمد المنصور الذهبي[5].

ومن هذا فإن محمد كاغ كان يراوغ من أجل إستصفاء الملك لنفسه، أو بالأحرى الإجهاز على محمود بن زرقون، الذي كان أشدّ منه حنكة، ويحسب لذلك ألف حساب؟.

---

(1) السعدي، المصدر السابق ، ص149.

(2) S.M. Cissoko, **Histoire de l'Afrique occidentale au Moyen-Âge et aux temps modernes (7 siècle, 1850)**, présence africaine, paris, 1966, p 162.

والسعدي، المصدر السابق ، ص149.

(3) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 262،263.

(4) السعدي، المصدر السابق ، ص 149،150.

(5) نفسه، ص150.

اغتنم محمد كاغ فرصة صدور الأمر بشمول الأمان لسائر السكان، بعد مصرع أخيه الأسكيا إسحاق الثاني، فألتمس من قواد الجيش المغربي التنازل عن الأسطول، الذي غنمه السعديون من السنغائيين، بحجة أنّه ملك للرعية، وقد أرضى طلبه تأليفا له و تأنيسا "...فساعده رؤساء الأجناد ولبسوه على سوء دخلته..."[1].

عقب هذا قام محمد كاغ وجمع الجموع[2]، وعمد إلى إجراء تغييرات في القيادة، مبعدا كلّ اللذين لهم صلة سابقة بالجيش المغربي"...اخذ في تقليد الأعمال وتفريقها على رجاله وقسمتها بين خدامه..."[3]. وفي هذه الأثناء حلّت مجاعة بمحلّة الجيش المغربي، ووجد محمود بن زرقون أنّه من الصعب إطعام جيشه، لا سيما بعد أكل الدواب التي كانت معهم. وقد أرسل لهم الأسكيا محمد كاغ الطعام، استجابة لأمر الباشا محمود، كي يثبت حسن نيته[4].

بعث الباشا محمود سفيرا إلى الأسكيا الجديد يستقدمه، ليعرف جلية الأمر، وكان الرسول قد هاله ما رأى من استعداد حربي، يناهز ما كان معروفا لدى إسحاق، الأمر الذي جعله يسرع بالأخبار إلى الباشا محمود، حاملا معه اعتذار الأسكيا محمد كاغ عن تلبية رغبته، بما هو مقبل عليه من تنظيم أحوال البلاد"...وتثاقل وأعتل عليه بواهي العلل وتعلق بأذناب المعاذير وتلوم للوم شعته واستجماع عساكره..."[5].

ـ إعدام محمد كاغ[6]:

كان الباشا محمود قد أكرم رسل الأسكيا محمد كاغ، التي تروم لعقد الصلح بينهم ورضي الباشا بذلك، وأعطاهم الهدايا، وكتب إلى الأسكيا بأنه على هذا الصلح، وأمره أن يأتيه بنفسه، وكان الأسكيا محمد كاغ قد تماطل كما سبق ذكره. فعاود له الباشا محمود

(1) الفشتالي، المصدر السابق، ص155. و عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص263.

(2) السلاوي، المصدر السابق، ص128.

(3) الفشتالي، المصدر السابق ، ص155.

(4) محمد مزين، "المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16 و 17 الميلاديين"، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد31(عدد خاص بإفريقيا)، السنة 13، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب، بغداد، 1987م، ص 226. و السعدي، المصدر السابق ص150.

(5) الفشتالي، المصدر السابق ، ص155.

(6) Hubert deshamps, **Histoire générale de l'Afrique noire**, 2Tomes, presses universitaires de France, Paris, 1970, T 1: **des origines à 1800**, p 273.

التأكيد بالأمان التام، وأمره بالتعجيل في القدوم، وأنّه مستعجل يريد الرجوع إلى المغرب[1]. ومن هذا بدأ الاختلاف في الرأي بين صفوف الأسكيا محمد كاغ، فهناك من ينصح بالذهاب وحسن النية، وآخر يرى ويؤكّد على الخيانة والغدر"...قال لا آمنهم..."[2].

رضي الأسكيا محمد كاغ في آخر المطاف بالأمر، وقرّر الذهاب، وتقدّم مع قادة جيشه نحو معسكر ابن زرقون في تنش بالقرب من كوكيا[3]، حيث دعاهم الباشا محمود إلى تناول الطعام وأكرمهم، فلمّا شرعوا في الأكل، قبضوا عليهم، وجردوهم من أسلحتهم ثم أرسل الباشا محمود جميع الذين قبضهم إلى جودر في غاو، ثمّ أمره بقتلهم[4]، "...وهم ثلاثة وستون...ساقوهم من تنش إلى كاغ......ثم قتلوهم جميعا..."[5]، وحسب تاريخ السودان ثلاثة وثمانون[6]، وعند صاحب مناهل الصفا أربعة وتسعون رجلا[7].

فكانت نهايته في خاتمة العام 1000هـ/أكتوبر 1592م[8]، بعد أربعين يوما من موت الأسكيا إسحاق الثاني[9].

ـ أسباب القتل:

أمر الباشا محمود بقتل محمد كاغ وجماعته، ردّا على مذبحة قتل فيها أربعمائة من جنوده في الصحراء حين كانوا في طريقهم إلى السودان، ولولا ذلك لم يقتلهم، لأنه بعث للسلطان أحمد المنصور يشاوره في أمرهم[10].

---

(1) كعت، المصدر السابق، ص158.

(2) السعدي، المصدر السابق، ص150. و كعت، المصدر السابق، ص 158،159.

(3) كوكيا: هي مدينة ومركز تجاري غني ومزدهر منذ القرن 11م، تقع على ضفة نهر يخرج من شمال نهر النيجر وتبعد عن غاو العاصمة بـ: 150كلم جنوبا، كانت عاصمة للسنغاي إلى غاية اعتناقهم الإسلام، نقلوا العاصمة من كوكيا إلى غاو.. ينظر، نور الدين شعباني، المرجع السابق، ص21. و
Sabeur cherif Khaled, **L' ASKIA MOHAMMED sa vie son œuvre**, Memoire de D.R.E.A(option civilisation africaine), Université Sorbonne, paris, 1982/1983, p20.

(4) عبد الرحمان زكي، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1961م، ص158.

(5) كعت، المصدر السابق ، ص167.

(6) السعدي، المصدر السابق ، ص152.

(7) الفشتالي، المصدر السابق، ص155.

(8) نفسه.

(9) السعدي، المصدر السابق ، ص152.

(10) كعت، المصدر السابق ، ص167.

وقد ورد في كتاب مناهل الصفا، الحديث عن نفر آخر من أبناء الأسكيا بلغوا ستة إمتذروا بعض الأطراف الشاسعة من تلك الممالك، لكنّ الملاحم أدركت خمسة منهم بينما نجا سادس[1] يعتقد أنّه الأسكيا نوح، الذي قاد المقاومة.

د ـ استقبال السلطان السعدي لخبر نجاح الحملة:

لمّا وافت المنصور وفود البشائر بهذا النصر، سرّ بذلك سرورا عظيما، وكان عنده ذلك اليوم عيدا؛ أخرج فيه الصدقات، وأعتق الرقاب، وأقام مهرجانا عظيما، وزينت الأسواق، وتسابقت الخيول، وأطعم الناس عدّة أيام[2]، وعقد المنصور مجلسا بمراكش استمع فيه إلى القصائد الشعرية، التي نظمت في هذه الوقعة، التي حملت عند بعضهم اسم(وقعة النيل)[3] نسبة إلى نهر النيجر، وكتب بخبر النجاح إلى جميع الآفاق(ينظر الملحق3)[4]، فجاءته وفود هذه الدول يهنئونه على هذا النصر[5].

وكان ممّا أنشد أمامه:

قصيدة لأبي فارس الفشتالي منها:

جيش الصباح على الدجى متدفق   فبياض ذا لسواد ذلك ممحق

صعقت بهنّ رعود نارك صعقة   رجّت لصيحتها العراق وجلّق..

ونونيته في وقعة وادي المخازن والسودان:

من اللائي جرّعن العدا غصص الردى   وعقّرن في وجه الثرى وجه بستان

وفتحن أقطار البلاد فأصبحت   تؤدي الخراج الجزل أملاك سودان

وكان ممّا أنشده أبو عبد الله محمد بن علي الفشتالي:

وطويت في السودان مملكة لها   بين المشارق والمغارب مجثم..

---

(1) الفشتالي، المصدر السابق، ص156.

(2) السلاوي، المصدر السابق، ص 129. ومحمد مزين، المرجع السابق، ص 228. وينظر الفشتالي، المصدر السابق ص 251،252.

(3) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 264.

(4) السلاوي، المصدر السابق، ص 129.

(5) الوفراني، المصدر السابق، ص 95.

يرجع الفضل للسيد De castries في اكتشاف، ونشر النص العربي، وترجمته، لإحدى هذه الرسائل،التي بعث بها بهذه المناسبة إلى سكان فاس. ينظر، H. De castries, op. cit, pp 478-482

وكان ممّا قاله شاعر الدولة أبو عبد الله الهوزائي:

لئن أسلمت أرض الجنوب مقادها فعن كثب تلقى مقاليدها مصر

وتزور زوراء العراق فتهتدي إليكم وأعناق العدا خضع صغر

فلا زالت الأقطار تعطي مقادها لسيفك من سوس إلى خراسانها

وذكر الهوزائي أبياتا عن عزم المنصور استرجاع الأندلس:

فملكت أقطار الجنوب وما سمت لمنال ذلك همّة الإسكندر

وتنال أندلسا يجود ربوعها برد المنية من قتام العثير

وممّا قاله أبو الحسن علي بن المنصور الشيظمي في الوقعة مشيرا لوقعة القصر:

فالقصر جرّ لقيصر الحتف الذي أبقاء متقطع العرى بعراء

والنّيل نال به الخليفة فتح ما قد كان قبل أصم في عمياء

وممّا سمعه من أبي العباس بن القاضي المكناسي:

واسعد فقد دانت ملوك الورى لما رأت في الانقياد النجاح [1]

ولا غرابة في هذه الهالة لاستقبال هذا النجاح، فالمنصور يعتبره حملة جهادية، لذلك جهزّ له قبل ذلك أهمّ الإمكانيات، أضف إلى ذلك أنّه أول عملية جهادية من أجل فتح بلاد خارج إطارها الجغرافي، تقوم بها الدولة السعدية منذ تصريحها بالخلافة القرشية.

ه ـ نهاية عصر الإمبراطوريات الكبرى ببلاد السودان:

يشير موت الأسكيا محمد كاغ إلى انتهاء المرحلة الثالثة وعائلة الأسكيين من حكم سنغاي(ضياء، سني، الأسكيين)، ونهاية الإمبراطورية الثالثة سنغاي(غانا، مالي، سنغاي) من حكم بلاد السودان. هكذا تنتهي مرحلة تاريخية هامة ببلاد السودان النيجيري، لتدخل المنطقة مرحلة جديدة مع الوجود المغربي؟. وبهذا يكون قد انتهى عصر الإمبراطوريات الكبرى ببلاد السودان.

(1) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 264، 265. وينظر، الفشتالي، المصدر السابق، ص238- 250 و ابن القاضي، المصدر السابق، ص233- 235.

2 ـ الحكم المغربي السعدي ببلاد السودان بعد الأسكيين:

بقيت بلاد السودان النيجيري حسب المؤرخ موريس دولافوس Maurice Delafosse، تحت نظام الحكم المغربي(نظام الباشوية في الحكم)، بين 1591م إلى 1780م، أي حوالي قرنين من الزمن. وأصبحت مدينة تنبكت عاصمة لحكمهم منذ أول يوم، حيث شيّدوا بها مقرا لحكمهم.

و يقسم هذه الفترات التاريخية ببلاد السودان النيجيري إلى ثلاث مراحل، هي كالآتي[1]:

ـ المرحلة الأولى: من بداية الحملة سنة 1591م إلى غاية 1612م، يتم تعيين الباشوات فيها من طرف السلاطين السعديين.

ـ المرحلة الثانية: من سنة 1612م إلى غاية 1660م، يتم تعيين الباشوات فيها عن طريق طوائف الجند بالمنطقة.

ـ المرحلة الثالثة: من سنة 1660م إلى غاية 1780م، التي يسميها نهاية السيادة المغربية بالمنطقة.

وقد رأينا تقسيم هذه الفترة الزمنية(1591-1780م) إلى مرحلتين هما:

أولا: السيادة المغربية(السعدية) ببلاد السودان حوالي السبعين سنة الأولى"...انقطعت الخطبة بنصر أولاد مولاي الذهبي......بعدما خطبوا بهم إحدى وسبعين سنة على جميع منابر مساجد بلاد التكرور..."[2]، لذلك فعام 1660م يمثل نهاية السيادة السعدية بالمنطقة وانهيارها أيضا بالمغرب الأقصى بعد قتل آخر سلاطينها مولاي العبّاس "...وبموته انقرضت دولتهم وأيامهم..."[3]، حوالي سنة1660م.

---

(1) Maurice Delafosse, **Haut Sénégal – Niger**, 3 Tomes, Maisonneuve et Larose, Paris, T02, pp 239,253,261.

وينظر، عبد القادر زبادية، التأثيرات، المرجع السابق، ص 157،158

(2) مجهول، **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**، تحقيق هوداس، باريس، 1899م، ص90.

التكرور: كانت تطلق في البداية على منطقة نهر السنغال وضواحيها، ثم عمّ إطلاقها على السودان الغربي كله، يتّضح ذلك منذ زمن زمن دولة الأساكي. ينظر، عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص21.

(3) مجهول، تاريخ الدولة السعدية، المصدر السابق، ص107.

مولاي العبّاس: هو الأمير مولاي العباس بن مولاي محمد الشيخ بن مولاي زيدان بن مولاي أحمد المنصور الذهبي =

أما الحديث عن الفترة الثانية(1660ـ1780م)، فنعتبرها مرحلة جديدة ببلاد السودان النيجيري، كانت نتيجة للوجود المغربي، خاصة إذا علمنا أنّ الأسرة الحاكمة، منذ سنة 1660م، هي أسرة هجينة(نتيجة زواج المغربيين بالسودانيات) تعرف باسم (الأرما ـ Armas)، غلبت عنها اللغة السنغائية، وتمركزت بمدينة تنبكت؛ لهذا لا يمكن اعتبارها تمثل حكما مغربيا. حيث اعتبرنا الفترة المدروسة، هي الفترة الحقيقية للسيادة المغربية بالسودان النيجيري. وهكذا من صدف التاريخ أن اقترنت نهاية الدولة السعدية بالمغرب الأقصى، بنهاية سيادتها أيضا على السودان النيجيري.

أ ـ المراحل السياسية الكبرى للحكم المغربي السعدي بالسودان النيجيري:

أوّل مراحل العصر الحديث ببلاد السودان النيجيري، هي فترة الحكم المغربي السعدي بالمنطقة، تبدأ من بداية الحملة السعدية على بلاد السودان سنة1591م إلى غاية سنة 1660م، والتي تمّ فيها بشكل عام إلحاق وتبعية بلاد السودان النيجيري بالدولة السعدية وتنقسم من ناحية نظام الحكم(نظام تعيين الباشوات) إلى فترتين هما:

ـ **الفترة الأولى:** من 1591م إلى غاية 1612م، فترة تعيين الباشوات على يد السلطان السعدي مباشرة من العاصمة مراكش.

حيث أداروا بلاد السودان النيجيري باسم السلطان السعدي، ويستطيع عزلهم في أي وقت(1). ومن أبرز مميزات، وخصائص هذه الفترة على المستوى السياسي كالآتي:

تمّ خلال هذه الفترة توطيد الحكم السعدي، وتوحيد وإلحاق رقعة البلاد بالدولة السعدية، ومحاولة القضاء على التمردات الداخلية، "...وأخذوا في التمهيد وتسكين الشارد وتأمين الطريد وبسط الصدر وخفض الجناح حتى اطمأنت النفوس المستتة في مجال القلق واستقرت الأفئدة الجائشة بما خامرها من الرهب والذعر الذي ملأ أحشاءهم و أزاغ

= مات مقتولا سنة 1065هـ/1656م، وفي قول آخر قتل سنة 1569م. وبموته كانت نهاية الدولة السعدية، التي خلفتها الدولة العلوية سنة 1664م. ينظر، نفسه، ص107. وحسين مؤنس، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، مجلدان، ط 1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992م، ص221. وعبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، مج2، ص351.

(1) S. M. Cissoko, op. cit, p 220.

أبصارهم وأشكت لرحبه مسامعهم من أجل جدّه الدولة وثقل الوطأة وجلال السلطان..."[1]، "...وتمهّدت له البلاد(يقصد محمود بن زرقون) واستولى عليها استيلاء كليا..."[2]، وتمّ القضاء على التمردات الداخلية، فكانت سياستهم بين الصرامة والعنف مع المعارضين ــ حيث قبض محمود بن زرقون على الفقهاء المعارضين ــ واللّين والتساهل مع الخاضعين للحكم المغربي بالمنطقة، وهكذا تمّ الولاء والطاعة من المدن الرئيسية (تنبكت، غاو، جني، ماسينا[3]) لــ:أحمد المنصور الذهبي، "...واستقام الحال..."[4]. وقابل كلّ هذا انسحاب الأسكيين المعارضين للحكم المغربي إلى موطنهم الأصلي جنوب الضفة الغربية لنهر النيجر بــ: دندي، كمقاومين ضدّهم. يأتي الحديث عن هذا لاحقا.

ــ **الفترة الثانية:** من 1612 إلى غاية 1660م، فترة تعيين الباشوات على يد طوائف الجند بالسودان النيجيري، فيعلن الجيش عن الباشا، كما يتصرف أيضا بعزله. أمّا عن خصائص، ومميزات هذه الفترة على المستوى السياسي، ما سنذكر:

كان القائد علي التلمساني، أول من أعلن باشا عن طريق الجيش سنة 1612م، حيث قام بانقلاب، وعزل الباشا محمود لنك(1612/1604م)، آخر الباشوات من مراكش وآخر باشوات الفترة الأولى، وبذلك فتح باب العزلان. فتفاوتت فترات الحكم من باشا إلى آخر، تطول وتقتصر. كما انقطعت الإمدادات من مراكش على البلاد، باستثناء مجيء الباشا عمّار سنة 1618م، مع حامية عسكرية تقدر بــ:400 راميا، ولم يمكث إلا شهرا ورجع إلى مراكش[5] دون أن يتقلد الباشوية.

لكن ما زالت كلمة السلطان السعدي، تنفذ هناك، ويستطيع التغيير، وتصل أخبار المغرب هناك، دليلا على اتصال هذا القطر بالمملكة السعدية. فرغم أن الأمراء السعديين

---

(1) الفشتالي، المصدر السابق، ص148.

(2) السلاوي، المصدر السابق، ص128.

(3) ماسينا: تحتل منطقة ماسينا الأراضي الخصبة الواسعة، التي ترويها مياه نهر النيجر، شمال وغرب مدينة جني. يسكنها الشعب الفولاني منذ القرن 14م، وكانو هم وزعماءهم من البامباره، وثنيين، وأخذوا يدخلون الإسلام منذ القرن 19م، حتى أسسوا سنة1810م مملكة إسلامية حكمت بلاد ماسينا كلها. ينظر، يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن20م**، دار هومة، الجزائر، 2001م، ص164.

(4) السعدي، المصدر السابق، ص 162،184.

(5) نفسه، ص 201، 222،223.

تعرضوا لظروف داخلية قاسية، فقد ظلوا يعتبرون أنفسهم مرتبطين بتلك الجهات الجنوبية، ففي سنة1037هـ/1627م أعلن في تنبكت و جني عن موت السلطان زيدان وتنصيب ابنه المولى عبد الملك، وفي سنة1065هـ/1655م أعلن عن وفاة السلطان محمد الشيخ، وتنصيب ابنه العبّاس"... فجاء على وفق المراد وظهرت منه البركة في الساعة والحين..."[1]، ويمكن أن نقرأ ذلك أيضا في الديباج التي يصدرون بها رسائلهم السياسية إلى ممالك أوروبا، فنجد السلطان محمد الشيخ الملقب(الشيخ الأصغر) في آخر رسائله إلى هولندا، ينعت نفسه بأنه"...خضعت لأوامره جبابرة الملوك السودانية وأقطارها القاسية..."، وذلك بتاريخ شهر رجب1054هـ/1644م[2].

ظهرت خلال هذه الفترة بعض التمردات، كانت تنتهي بالصلح والولاء للدولة، وقد أورد صاحب كتاب تاريخ السودان في وصف آخر تمرد بـ: جني خلال هذه الفترة "...فهزموه مع جيشه الأرذلين الخاسرين..."[3]. وقد ظل اعتراف هؤلاء بتبعيتهم للسلطان السعدي بمراكش إلى غاية سنة 1660م، حيث قطعت السلالة الجديدة الأرماArmas هذه الصلة[4]. فكان محمد الشطوكي بوي، أول باشا حاكم من السلالة الجديدة الذي قطع سنة 1660م كامل السيادة مع المغرب الأقصى ــ كانت الدولة السعدية قد انتهت وخلفتها سنة1664م الدولة العلوية ــ وأنقطع معها ذكر اسم السلطان بخطبة الجمعة "...عام المكمل سبعين وألف في مدة الباشا حم بن عبد الله انقطعت الخطبة بنصر أولاد مولاي أحمد الذهبي في بلاد التكرور......نسخ الخطبة باسم سلطان محمد الشطوكي...وأبدل اسمه باسم الباشا حم المذكور ...بقوله اللهم انصر حم مولانا....."[5].

لكن اسم الباشا ظلّ يحكم[6]. فكانت سنة 1660م/1070هـ نهاية للدولة السعدية بالسودان النيجيري.

(1) السعدي، المصدر السابق ، ص 227،322،323.
(2) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص 271،272.
(3) السعدي، المصدر السابق ، ص223.
(4) أحمد شلبي، المرجع السابق، ج6، ص275.
(5) مجهول، تذكرة النسيان...، المصدر السابق، ص90.
(6) M. Delafosse, Hesperies, op. cit, p169.

ب ـ التنظيمات الإدارية:

ـ التقسيمات الإدارية:

1) ـ الحدود العامة:

اختارت إمبراطورية برنو[1] منذ سنة 1583م، مصادقة المنصور، وإخلاص الود له"...وقد قرأت عنهم البيعة(يقصد حكام برنو)، وفهموا معناها، وأجابوا عنها بمقتضاها من إعطاء البيعة، والدخول في الطاعة ولزوم حزب الجماعة..."[2]. وتوالت بعد هذا كما عرفنا سابقا، سقوط إمبراطورية سنغاي سنة 1591م، على أيدي القوات المغربية السعدية، وأصبحت البلاد تحت الحكم المغربي[3]"...وتمهدت البلاد(بلاد سنغاي) واستولى عليها كليا..."[4].

وهكذا دخلت بلاد السودان النيجيري في طاعة السلطان السعدي أحمد المنصور وظهرت دولة إسلامية كبرى(الدولة السعدية)، مابين البحر الأبيض المتوسط إلى الغابات الاستوائية "...فانتظمت الممالك السودانية في سلك طاعة المنصور مابين البحر المحيط ومن أقصى أرض المغرب إلى بلاد أرض كانو[5]المتضامة لبلاد برنو...... فكلمة المنصور نافذة فيما بين بلاد النوبة إلى البحر المحيط من ناحية المغرب وهذا ملك ضخم وسلطان فخم..."[6].

لقد أصبحت هذه هي الحدود العامة والاسمية فقط للدولة السعدية، منذ الحملة سنة1591م، إلى غاية سنة 1660م "...خطبوا بهم إحدى وسبعين سنة على جميع منابر مساجد التكرور..."[7].

---

(1) الكانم برنو: هي إمارة قامت بالمنطقة المحيطة ببحيرة تشاد ونهر الكانوري، والتي تشملها اليوم جمهورية تشاد وقسما من شمال نيجيريا، كان قد عمّها الإسلام منذ القرن 10م. ينظر، عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص24.

(2) عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص237.

(3) Le Général Louis Faidherbe, **Le Sénégal La France dans L'Afrique occidentale**, paris, 1889, p354.

(4) السلاوي، المصدر السابق، ص130.

(5) كانو: مركز حضاري بالسودان الأوسط، تميل إلى الجنوب بين بحيرة تشاد والضفة الشرقية لنهر النيجر. الباحث.

(6) الوفراني، المصدر السابق، ص95. والفشتالي، المصدر السابق، ص164. والسلاوي، المصدر السابق ، ص130.

(7) مجهول، تذكرة النسيان...، المصدر السابق، ص89.

لكن التوسع المغربي السعدي توقف من جهة الجنوب الشرقي للنهر، بسبب مقاومة حكام دندي[1]، حيث لم يتعدّى Gongia غونجيا[2] إلى الجنوب من Ansongo نسونغو[3]. فالسيادة المغربية شملت المنطقة الشمالية من كوكيا مرورا بـ: Hombori هنبر بالنيجر الأسط إلى مدينة جني بالجنوب على الضفة الغربية للنهر.

وهكذا انقسمت إمبراطورية سنغاي إلى مملكتين هما: مملكة دندي بالجنوب الشرقي المعارضة للحكم المغربي السعدي، و مملكة تنبكت(من كوكيا إلى بينا[4]) بالشمال الموالية للحكم الجديد.

---

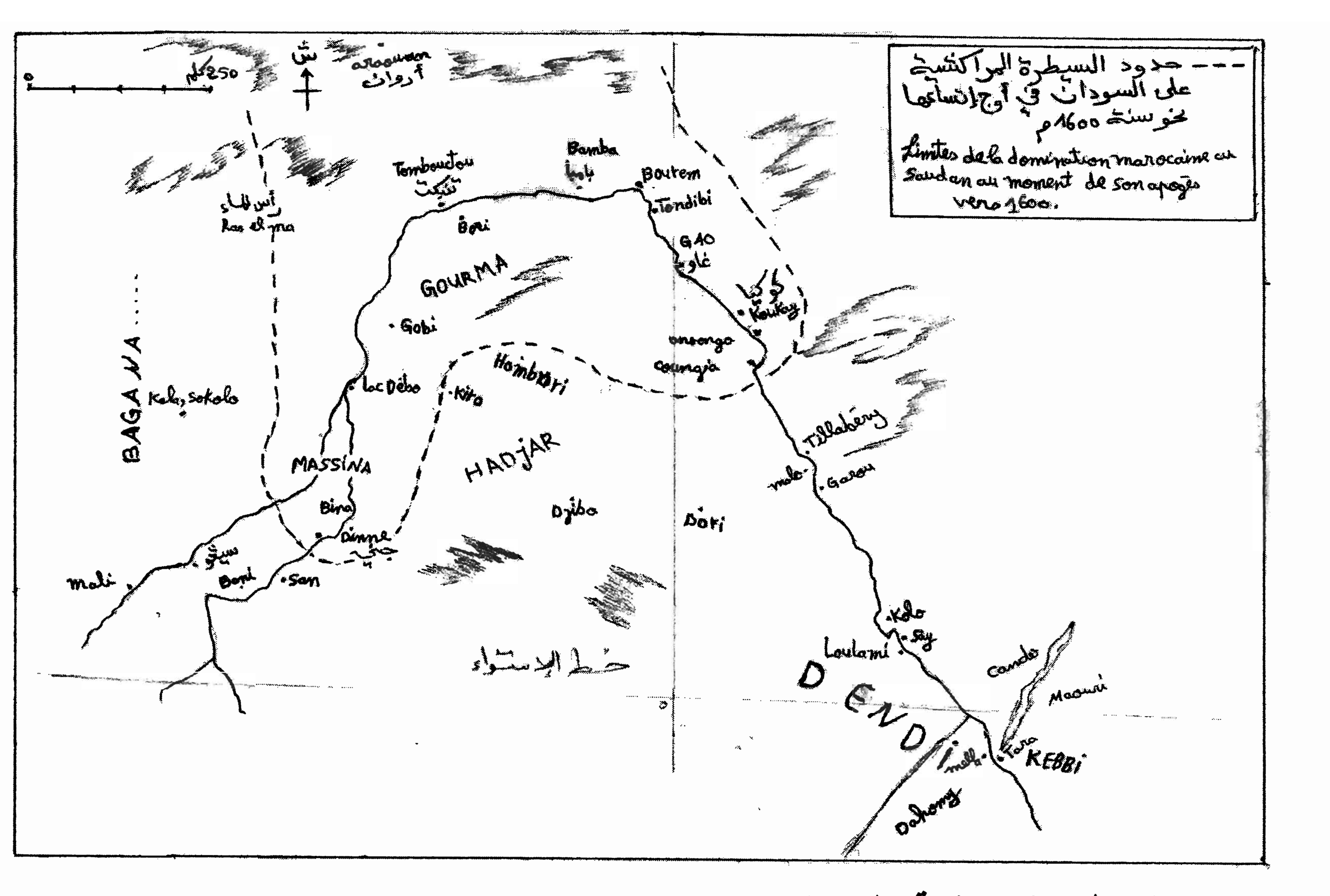
(1) دندي: الموطن الأصلي للأسكيين، تقع على بعد حوالي700كلم إلى الجنوب الشرقي من غاو، على طول الضفة الشرقية لنهر النيجر، حيث تتصل بمنطقة الغابات الاستوائية كثيفة الأشجار. الباحث.

(2) gongiaغونجيا: منطقة تقع على الضفة الشرقية لنهر النيجر، تبعد عن مدينة غاو بحوالي 190كلم جنوبا، الباحث

(3) S. M. Cissoko, op. cit, p220.

Ansongo نسونغو: منطقة تقع على الضفة الشرقية لنهر النيجر تبعد عن مدينة غاو بحوالي 120كلم جنوبا، الباحث.

(4) بينا: منطقة قريبة جدا من مدينة جني، أو تنتمي إليها من ناحية الشمال. الباحث.



La Domination Marocaine au Soudan السيطرة المراكشية بالسودان

M. Delafosse, Haut Senegal-Niger, Op. Cit, p 279 . (بتصرف)

2) ـ المراكز الرئيسية:

هكذا سيطرت الجيوش المغربية السعدية على المراكز والمدن الكبيرة بالسودان الغربي عامة، والسودان النيجيري خاصة، وتركت بها حاميات عسكرية، فكانت مدينة تنبكت العاصمة، ومدينة غاو بالشرق، في حين كانت مدينة جني بالغرب.

<u>مدينة تنبكت(عاصمة):</u> لمّا دخل الباشا جودر مدينة تنبكت في 6 شعبان 999هـ/30ماي1591م، تلقاه أعيان البلد بالترحيب، وأطاعوه في البيعة، وضيفوه[1]. عندها طاف بالمدينة يبحث عن مقر لبناء القصبة، فأختار حومة الغدامسيين، وشرعوا في بنائها بعد إخراج السكان منها[2] حيث فرض على التجار ضريبة لبنائها، وارتحل بجيشه كله إليها[3]. هكذا أصبحت مدينة تنبكت عاصمة الحكم المغربي السعدي منذ أول يوم وذلك لموقعها الإستراتيجي، كنقطة انطلاق نحو جهات السودان، ولتوسطها المدينتين الرئيسيتين بالنيجر الأوسط: غاو، و جني.

<u>*الجهة الشرقية مدينة غاو:</u> بعدما كانت مدينة غاو عاصمة الأسكيين، تحولت أثناء الحكم المغربي السعدي إلى جبهة عسكرية تحمي الضفة الشرقية للنهر، تنطلق منها الأفواج العسكرية، لردع التمردات الداخلية، وضرب مقاومة حكام دندي من ناحية الجنوب الشرقي، كما تصلها الإمدادات من العاصمة تنبكت.

<u>*الجهة الغربية مدينة جني:</u> مثلت جبهة عسكرية، لحماية الضفة الغربية للنهر، كان لها الدور الكبير، وترجيح كفة ميزان القوى لصالح الجيش المغربي ضدّ ماسينا، كما أخمدت عدّة تمردات داخلية بها، وتصلها كذلك الإمدادات من العاصمة تنبكت.

هذه المدن، التي شملتها السيادة المغربية السعدية، تمثل عصب الحياة الثقافية والاقتصادية بالسودان الغربي، ولذلك فإن السيطرة عليها، يعني حكما للسودان النيجيري كاملا.

(1) كعت، المصدر السابق، ص255.
(2) السعدي، المصدر السابق، ص142.
(3) كعت، المصدر السابق ، ص158.

ـ الإدارة المغربية بالمنطقة:

1) التركيبة القديمة:

لم يغير السعديون(المغربيون) النظام الإداري القديم لإمبراطورية سنغاي، فقد استمر اختيار الأسكيا من بين المنحدرين من الأسكيا الحاج محمد الكبير.

***أسكيا الشمال:** كان سليمان بن الأسكيا داود أول أسكيا أعلنه الباشا محمود، أسكيا للشمال أواخر سنة1592م ـ بعد قتل الأسكيا محمد كاغ أكتوبر 1592م ـ وكان قبل ذلك هرب إلى محلة الباشا، وقبله "...وأكرم الباشا محمود، سليمان غاية الإكرام حتى جعله أسكيا عليهم.....على من بقي معهم من أهل سنغي..."[1]. يقيم بتنبكت، و تحيط به حاشية وحرس قليل حوالي المائة من الجنود[2]، إضافة إلى مراتب وزارية هم على التوالي: كرمن فاري وهو قائدا للجيش السوداني، بنك فرم، بلمع، وكلها مراتب نيابية للأسكيا. لكن في حقيقة الأمر، كان للباشا والأفواج العسكرية سيادة على هذه الوظائف[3] فقد كان أسكيا الشمال معاون، ومشمول برعاية الحكومة العسكرية المغربية السعدية حيث السيادة المطلقة للباشا، والأفواج العسكرية.

وهذه قائمة أساكي الشمال للفترة المدروسة(1591/1660م):

1- سليمان بن الأسكيا داود(1591/1604م).

2- هارون بن الأسكيا الحاج 2(1604/1608م).

3- بكر بن يعقوب (1608/1619م).

4- الحاج3 بن بكر كيشاع (1619/1621م).

5- محمد بنكن2 بن بلمع محمد الصادق (1621/1635م).

6- علي زليل بن بكر كيشاع 1635م.

7- محمد بنكن2، للمرة الثانية (1635/1642م).

8- الحاج محمد4 بن محمد بنكن (1642/1657م).

---

(1) السعدي، المصدر السابق، ص 152،153.

(2) S. M. Cissoko, op. cit, p 220.

(3) Boubou Hama, **Histoire des songhay**, presse africaine, sans date, p 254.

9- داود بن هارون (1669/1657م).[1]

***أسكيا دندي:** في الوقت الذي عينت فيه المناطق الشمالية أسكيا الشمال، كان نوح بن الأسكيا داود قد هرب إلى المناطق الجنوبية من سنغاي بدندي، ولم يكن قد أصابها التوسع المغربي، فتم تعيينه أسكيا لهم[2]؛ فقاد المقاومة، ولا يعترف إلا بسلطة سنغاي. وتداول على هذا المنصب خلال فترة موضوع الدراسة 16 أسكيا.

2) التركيبة الجديدة:

***الباشا:** وهو الحاكم الأول للبلاد(السودان النيجيري)، مقرحكمه القصبة بتنبكت العاصمة ويحتفظ بالسلطة والإدارة المدنية فقط[3]. وقد تنوعت طريقة تعيينه من فترة لأخرى:

– (1591م إلى 1612م) كان الباشا يعين من طرف السلطان السعدي بمراكش.

– (1612م إلى1660) كان الباشا يعين من القادة العسكريين بالسودان النيجيري.

– (1660م إلى1780م) كان الباشا يعين من السلالة الجديدة الأرما Armas، على يد طوائف الجند وانحصرت بمدينة تنبكت فقط. تميزت بضعف حكم الباشاوات، ومنذ سنة 1780م توقف الجيش عن اختيار الباشاوات للحكم، وأقتصر الأمر على حق اختيار عمدة مدينة تنبكت فقط منهم[4]، وهكذا انتهى اسم الباشا، الذي أستبدل بـ: الكاهية[5].

والميزة لهذا اللقب عن لقب الباشا التابع للدولة العثمانية[6]، هي عدم تحديد عهدة الحكم للباشا بأرض السودان. فهل كانت هذه الميزة إيجابية بالنسبة للمنطقة؟.

وقد تعاقب على هذه المرحلة بفترتيها سبعة وعشرون باشا، هم كما يلي:

---

(1) مجهول، تذكرة النسيان، المصدر السابق، ص-170-173. والسعدي، المصدر السابق، ص 309،310 و M.Delafosse, Haut Sénégal – Niger, op. cit, pp260,261

(2) محمد مزين، المرجع السابق، ص227. و السعدي، المصدر السابق ، ص153.

(3) Félix Dubois, **Tombouctou La Mystérieuse**, paris, 1897, p149.

(4) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص128.

(5) M. Delafosse, op. cit, p169.

الكاهية: لقب في الجيش الإنكشاري وتعني المعتمد. ينظر، عبد الهادي التازي، المرجع السابق، ص271.

(6) على سبيل المثال عهد الباشوات(1659/1587م) في الجزائر: كان تعيين الباشا لمدة ثلاث سنوات جعله يشعر بأنه ليس في حاجة إلى ولاء الشعب، ما دامت مدة ولايته محدودة، فأصبح همه الوحيد هو جمع أكبر قدر ممكن من الأموال طوال فترة حكمه...فكان الباشوات يقومون بشراء هذا المنصب من الباب العالي،عن طريق دفع الرشوة...أصبحت = = الحكم مسألة ثانوية لا تهمهم. ينظر، مبارك محمد الهيلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، 3ج، الجزائر 1976م، ج3، ص 137، 138.

***الفترة الأولى(1591-1612م) تعاقب بها ستة باشاوات، هم:**

1 ـ الباشا جودر، أول باشا من مراكش إلى بلاد السودان النيجيري، مكث في منصب الباشوية تسعة أشهر الأولى، من أكتوبر 1590إلى وصول محمود بن زرقون أوت1591م، الذي عزله بأمر السلطان أحمد المنصور، حتى رجع إلى مراكش سنة1007هـ/1599م، بعد إلحاح السلطان بذلك(1)، حيث بقي بالبلاد حوالي تسعة سنوات، قضاها يحكم البلاد باسم الباشا خلال فترات الفراغ، أو الشغور في الحكم كما سمّاها المؤرخ Delafosse ـ لأنّ جودر معزول منذ مجيء محمود بن زرقون ـ بين تعيين ووصول الباشا الجديد.

2 ـ الباشا محمود بن زرقون(17أوت1591-1595م) مات في إحدى المعارك بالسودان.

ـ فترة شغور حكم الباشا، حيث جودر يحكم الأرض، والقائد منصور يحكم الجيش(12مارس1595-09نوفمبر1596م) توفي مرضا.

3 ـ الباشا محمد طابع(28ديسمبر1597-11ماي1598م) توفي.

ـ فترة شغور حكم الباشا(1598-1599م)، أو حكم جودر.

4 ـ الباشا عمّار(1599-1600م). أستدعي إلى مراكش.

5 ـ الباشا سليمان (19ماي1600-1604م). أستدعي إلى مراكش.

6 ـ الباشا محمود لنك(جويلية1604-1612م) عزل عن الحكم.

(1) السعدي، المصدر السابق، ص177.

***الفترة الثانية(1612-1660م) تعاقب بها واحد وعشرون باشا، هم:**

7 ــ الباشا عبد الله التلمساني(11أكتوبر1612-13مارس1617م) عزل وقتل.

8 ــ الباشا أحمد بن يوسف(1617-جوان1618م) عزل. خلال هذه الفترة وصل الباشا عمار البلاد مدة شهر، ورجع إلى مراكش.

9 ــ الباشا حدّ بن يوسف الأجناسي(1618-جانفي1619م) توفي بالسودان.

10 ــ الباشا محمد بن أحمد الماسي(1619-1621م) عزل وسجن ثم قتل على يد الجيش.

11 ــ القائد حم بن علي الدرعي(04نوفمبر1621-1621م) عزل.

12 ــ القائد يوسف بن عمر القصري(1621-1627م)، عزل.

13 ــ الباشا إبراهيم بن عبد الكريم الجراري(1627-1628م)، عزل.

14 ــ الباشا علي بن عبد القادر(1628-جويلية1632م) عزل وقتل على يد الجيش.

15 ــ الباشا علي بن المبارك الماسي(1632-1632م) عزل بعد ثلاثة أشهر.

16 ــ الباشا سعود بن أحمد(17أكتوبر1632-1634م) توفي.

17 ــ الباشا عبد الرحمان(1634-1635م) توفي.

18 ــ الباشا سعيد بن علي(1635-1637م) عزل.

19 ــ الباشا مسعود بن منصور(1637-1643م)، عزل و سجن.

20 ــ الباشا محمد بن محمد بن عثمان(1643-1646م) عزل.

21 ــ الباشا أحمد بن علي التلمساني(1646-1647م) توفي.

22 ــ الباشا حميد بن عبد الرحمان(1647-1648م) عزل.

23 ــ الباشا يحي بن محمد الغرناطي(1648-1652م) عزل.

24 ــ الباشا أحمد بن حدّ(1652-1654م) عزل.

25 ــ الباشا محمد بن موسى(1654-1655م) عزل.

26 ــ الباشا محمد بن أحمد بن سعدون(1655-161657م) عزل.

27 ـ الباشا محمد بن الحاج الشطوكي ويدعى محمد بوي(1657-1660م). وهو أول باشا من السلالة الجديدة الأرما Armas، والذي قطع السيادة المغربية السعدية ببلاد السودان النيجيري نهائيا منذ سنة1660م.[1]

***الأمين:** هوالمكلف بأمور المال، يعين من طرف السلطان السعدي خلال الفترة الأولى(1591-1612م)، وانتقلت سلطة تعيينه في الفترة الثانية(1612-1660م) للباشا.

ويوجد أمينان: الأمين الرئيسي الذي يقيم بتنبكت، والثاني داخلي يعينه الأمين الرئيسي أو الباشا، ويقيم بـ:جني، حيث يخرجون مراقبين متوجين بالأكاليل[2]. وقد كانت نهاية قيادة التأمين سنة 1672م/1084هـ[3].

***القائد أو الحاكم:** يملك القيادة العليا للأفواج العسكرية، حيث يعين الباشا واليا، أو حاكما أو قائدا، ينوب عنه في تسيير الشؤون السياسية والإدارية[4].

***الكاهية أو الحكيم:** تعني المعتمد، ويمسك معا خدمات بيت المال أو الخزينة، والإشراف على الأموال[5]. كما يمثل رئيسا لأحد الأفواج العسكرية.

***القاضي:** يعين الباشا قاضيا في كل مدينة، حيث يفصل في أمور الشرع[6]. متفرغا للقضاء ونشر الإسلام بعيدا عن السياسة والحكم، وله مهمّة تعيين الأئمة.

***الإمام:** يولي قاضي كل مدينة أئمة على المساجد المتواجدة "...فأمّا أول الأئمة الذين تولوا على أيديهم الجامع الكبير في تنبكت الإمام محمود بن الإمام أحمد ولاه القاضي محمد بن أحمد..."[7].

هكذا نجد أنّ السيادة المغربية ببلاد السودان النيجيري، لم تقم بتغيير إدارة الأسكيين السابقة، بل استمرت في التعامل معها، وتجديد وظائفها.

---

(1) السعدي، المصدر السابق ، ص137- 315 مع العلم أنّ كتاب تاريخ السودان هو أشمل مصدر لهذه الفترة و مجهول، تذكرة النسيان...، المصدر السابق ص 4،89،160،161.

(2) F. Dubois, op. cit, p149.

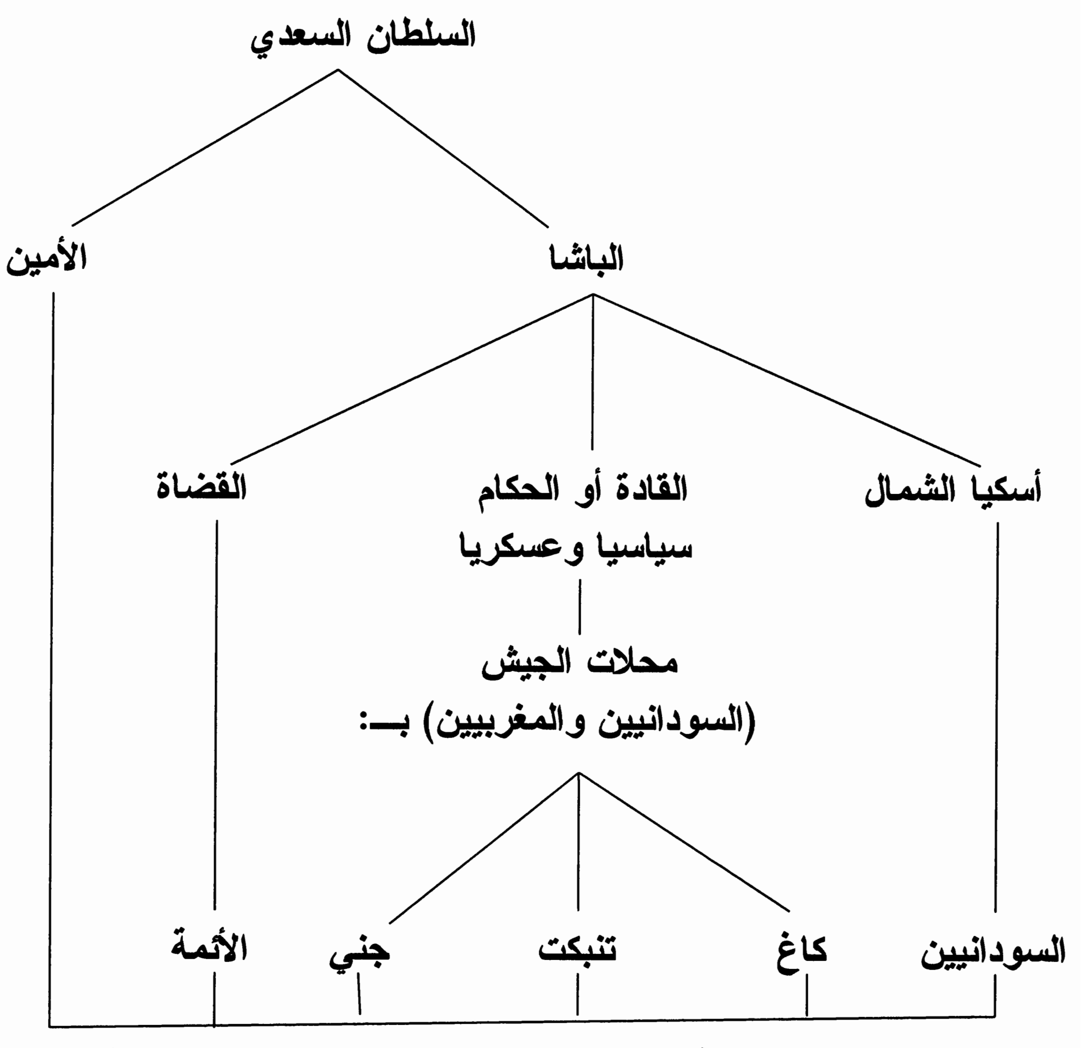
(3) مجهول، تذكرة النسيان...، المصدر السابق ، ص170.

(4) F. Dubois, op. cit, p149.

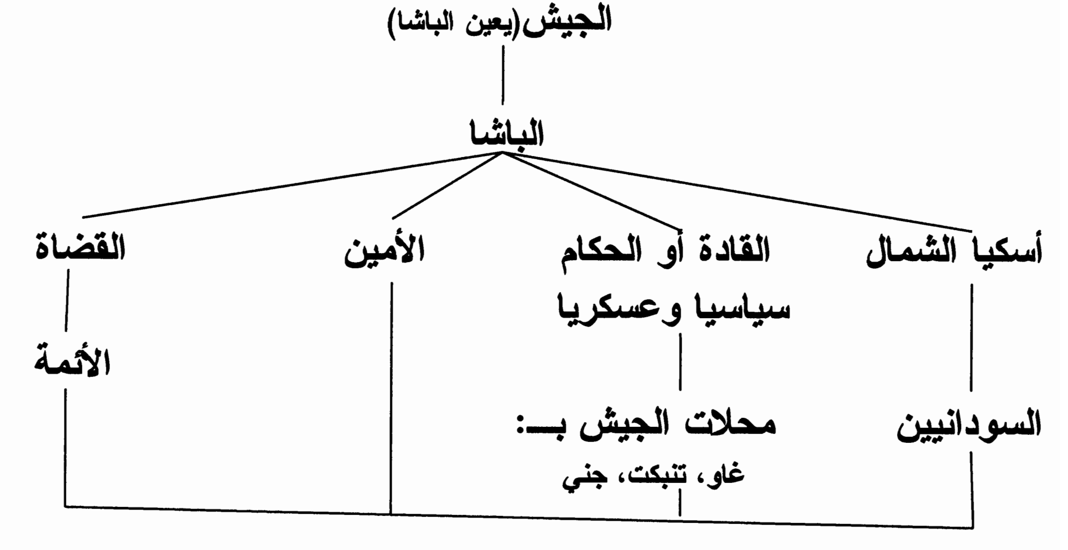
(5) Idem.

(6) السعدي، المصدر السابق ، ص308.

(7) نفسه، ص309.



ـ الإدارة المغربية ببلاد السودان النيجيري (1591–1612م)



ـ الإدارة المغربية ببلاد السودان النيجيري(1612–1660م)

(بتصرف) استنادا إلى السعدي، المصدر السابق.

الفصل الثالث

الأوضاع العسكرية ببلاد السودان النيجيري(1591-1660م)

1 - الجيش:

أ - وحدات الجيش وأسلحته

ب - الإمدادات العسكرية

ج - بيعة المراكز الرئيسية(غاو، تنبكت، جني)

2 - مقاومة مملكة دندي للسيادة المغربية بالسودان النيجيري:

أ - الباشا محمود بن زرقون والأسكيا نوح

ب - صراع القائد منصور مع جيش دندي

ج - معركة 1612م

3 - الصراع مع القوة السياسية الثانية بالمنطقة(الطوارق، الفولان، البرابيش):

أ - هجوم الطوارق على تنبكت

ب - الصراع مع ماسنا(الفولان)

ج - البرابيش

د - هجرات وتمرّدات(الفولان، الطوارق والبرابيش)

4 - أهم الأحداث الداخلية(1591-1660م):

أ - قضية الفقهاء

ب - الاضطرابات والتمرّدات، أسبابها وإخمادها

"......وأطفأ الله نيران الفتن والحقد بين النـــاس والرماة، إلا ما خسرها الفلانيون المحـــاربون وخربوهـــا مـــن البلدان وسلبوه من الأموال وما سفكوه مـــن دمـــاء المـــسلمين والتوارق من كاغ إلى جني، حتى الزغرانيون دخلوا معهم فـــي الفساد والإفساد. وأما الرماة فما خسروا بعد جمود نيران فتنتهم شيئا، وما أخذوا بأيديهم نفسا واحدا إلا ما ساقه إلـــيهم أيـــدي الأساكي وأرباب البلاد، إلا ما وظفوه على الناس من الغرامـــات والزكاة ومكس النبكات..."

كعت، تاريخ الفتاش...، ص 181،182

عرفنا مما سبق، أن التطورات السياسية الجديدة، صاحبتها بعض التمردات والمؤامرات الداخلية، إلى جانب ظهور مملكة دندي بقيادة الأسكيا نوح، التي لعبت دور المقاومة ضد الحكم المغربي السعدي بالمنطقة. لكن الذي لابد من الإجابة عنه هو النتيجة التي خلص لها بعض المؤرخين : هل كان هذا الوضع نتيجة للحكم العسكري المغربي ؟.

1 ـ الجيش:

كان جيش سنغاي جيشا منظما وقويا، حسب مقاييس الإطار المكاني والزماني ـ عدم وجود الأسلحة النارية ببلاد السودان ـ للمنطقة فقد تكون من فرق هي كالآتي: المشاة الفرسان، الخيالة، الطوارق، العبيد، إضافة إلى أسطول نهري على نهر النيجر، وحرس ملكي[1].

أما من حيث التسلح فقد بقي جيشا قديما، كانت أسلحته بسيطة؛ تتمثل في الرماح والسيوف، والنبال، والنشاب، والتروس الكبيرة المصنوعة من جلد الغزال والحرشان الصغار[2]، والسهام المسمومة[3]. لكن في سبعينات القرن 16م، كانت إمبراطورية بورنو قد تسلحت بالأسلحة النارية. هذا ما يجعلنا نقول أن إمبراطورية سنغاي تأخرت عن ركب التطور العسكري. وهكذا يمكن أن يتميز الجيش ببلاد السودان النيجيري أثناء السيادة المغربية السعدية كالآتي:

أ ـ وحدات الجيش وأسلحته:

يتكون الجيش حسب أصل الجيش من سربات(فرقات): سربة الفاسيين، وسربة المراكشيين، وسربة العلوج والأندلسيين[4]، إضافة إلى سربة الأسكيين. ويعين الباشا أو الأمين على رأس كل سربة كاهية لها. وتتوزع من حيث التنظيم كالآتي:

---

(1)عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي...، المرجع السابق، ص 68-70. والمبروك الدالي، المرجع السابق، ص151،152 وكعت، المصدر السابق، ص102.

(2) S.M Cissoko, Tombouctou et..., op. cit, p110. و H. Deshamps, op. cit, p43. و المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 152،153. والسلاوي، المصدر السابق، ص127. والسعدي، المصدر السابق ص86.

(3) مارمول، المصدر السابق، ج3، ص203. والمبروك الدالي، المرجع السابق، ص153.

(4) السعدي، المصدر السابق، ص193.

ـ **الفرق:** ـ فرقة المشاة: وهي الفرقة الراجلة وتتميز بكثرة عددها.

ـ فرقة الخيالة: يقاتلون على ظهور الخيل، وهي قليلة العدد (لأن الخيول لم تقاوم المناخ الصعب خاصة كلما اتجهت جنوبا) لهذا فهي ربما تمثل فرقة الطبقة القيادية أو الحارسة لهم.

ـ فرقة المدفعية والمنجنيق: حسب نظام الجيش المعترف عليه في تلك الفترة فإن فرقة المدفعية، تتقدم عن الفرق الأخرى.

وكانت كل محلة(مجموعة من الجيش) تقسم إلى قباوات، يحتوي كل قباء على عشرين(20) راميا[1].

ـ **الأسلحة:** وكانت أسلحة الجيش، تتمثل في؛ البنادق، والمدافع، والسيوف[2].

ـ **الرتب:** أما من ناحية الرتب، فنستطيع أن نقول أن الباشا يمثل القائد الأعلى للجيش يصحبه، ويليه قادة الحملات، ثم الكاهية الذي يرافق القائد في حملاته، إلى البشوظات قادة القباوات، وأخيرا الشاويشات(الجنود)، ويرافق هذه الرتب المغربية، رتب سودانية تمثل الجيش السوداني هي على التوالي: الأسكيا، وكرمن فاري، وبنك فرم، وبلمع، وقد سبق ذكرها.

وتعتبر العاصمة تنبكت القاعدة الرئيسية للجيش، حيث يصدر التموين العسكري منها على المراكز الفرعية الأخرى، وهي: بنب[3]، غاو، جني. حيث بقي جودر بـ:غاو وترك بـ:جني 40 راميا وأمّر على رأسها قائدا، في حين تمّ بناء قصبة للرماة بـ:بنب[4].

ب ـ الإمدادات العسكرية من مراكش إلى بلاد السودان:

قمنا بإحصائيات للإمدادات العسكرية المغربية السعدية منذ بداية الحملة إلى بلاد السودان النيجيري، من خلال كتاب تاريخ السودان لـ: السعدي، فكانت كما يوضحها الجدول الآتي:

(1) السعدي، المصدر السابق، ص148.

(2) نفسه، ص151. والسلاوي، المصدر السابق، ص128.

(3) بنب: منطقة تبعد عن تنبكت بحوالي200كلم شرقا، على نهرالنيجر. الباحث.

(4) السعدي، المصدر السابق، ص 162،168.

السنـــــــــــــــة	الباشـــا أو القـــائـــد	الـــــعدد
1590م/999هـ	الباشا جودر	3000 راميا وفارسا
1591م/1000هـ	الباشا محمود بن زرقون +6 محلات بعد وصوله لمساعدته	80 فارسا 1500 راميا 500 فـــــارسا و500 حصان
1592م/1002هـ	القائد باختيار	1200راميا
1594م/1003هـ	القائد منصور	3000 راميا وفارسا
1596م/1005هـ	الباشا محمد طابع	1000 راميا وفارسا
1597م/1006هـ	الباشا عمّار	1000 وصل منها 500 راميا وفارسا
1598م/1008هـ	الباشا سليمان	500 راميا أو أكثر
1604م/1013هـ	الباشا محمود لنك	300 راميا أو أكثر
1618م/1027هـ	الباشا عمّار	400 راميا
المجمـــــــــــوع:		12980راميا وفارسا

ـ إحصاء للإمدادات المغربية السعدية إلى بلاد السودان النيجيري

استنادا إلى السعدي، المصدر السابق(بتصرف).

التعليق: يبدوا لنا بوضوح من خلال هذا الجدول الإحصائي لعدد الجنود القــادمين من مراكش (يشمل هذا الإحصاء من الرماة، والفرسان، والخيول الطليقة، والمفقــودين) إلى بلاد السودان النيجيري، أن عددها 12980 وهذا حوالي 13000 راميا. وهنا يعطينـــا العلامة الفقيه أحمد بابا التمبكتي إحصاءا آخر بحوالي 23000 راميـــا، وهذا العدد كلّــه يقول في فترة السلطان المنصور، وزمن الباشا سليمان، وهلك الجميع في أرض السودان مـــاعدا 500 راميا رجعوا لمراكش[1].

إن تفسيرا أوليا لهذا الفرق بين الإحصاءين = 10000 نسمة، يؤكد لنا على الأقــل وجود بعثات متنوعة ضمن هذا الفارق ولو قليلة ترافق الحملات العسكرية، هذا إذا قلنـــا أن إحصاء السعدي كان عسكريا فقط. أمّا عن الهلاك الكلي الذي تحدث عنه أحمـــد بابـــا فيناقضه لاحقا الحديث عن حاميات عسكرية كبيرة.

ج ــ بيعة المراكز الرئيسية(غاو، تنبكت، جني):

ــ **غاو:** دخل الباشا جودر العاصمة غاو دون أي مقاومة[2]، واستقبله علماؤها وأعيانهـــا بالترحيب. ثمّ ترك بها الباشا ابن زرقون حامية عسكرية بقيادة جــودر، عنــد خروجــه لمحاربة الاسكيا نوح بالجنوب.

ــ **تنبكت:** لمّا دخلها الباشا جودر يوم 30ماي1591م، تلقاه أهلهـــا بالترحيـــب وضـــيّفوه وبنى بها قصبة لجيشه. وبعد خروج الباشا بن زرقون إلى الجنوب، حدثت فـــي نهايـــة أكتوبر1591م، فتنة تنبكت(يأتي الحديث عنها لاحقا)، فبعث نجدة بقيـــادة القائـــد مـــامي بارون، قوامها324راميا، أو700راميا[3]، الذي دخـــل تنبكـــت يـــوم27ديـــسمبر1591م وأصلح بين القائد مصطفى وأهل تنبكت، ودخل الناس في بيعة أحمد المنصور الـــذهبي[4] وما هي إلا ثلاثة أيام حتى خالطوا وامتزجوا وأصبحوا أحبّاء وأصدقاء[5].

---

(1) السعدي، المصدر السابق، ص191.

(2) F. Dubois, op. cit, p145.

(3) السعدي، المصدر السابق، ص157. وكعت، المصدر السابق، ص169.

(4) M. Delafosse, op. cit, p245.

(5) كعت، المصدر السابق، ص173.

ـ جني: بعث القائد مامي رسولا إلى جني، لأخذ البيعة من أهلها، فرأى أعيانها وتجارها وفقهاؤها القبول بتلك البيعة. ثمّ ذهب بنفسه في 300راميا إلى جنـي، وعـيّن سـلطانها وأصلح أحوالها، بعد أن قبلوا دفع 60000 مثقال ذهبا. ثمّ رجع إلى تنبكت وقـد اسـتقام الحال[1]، وفتح الطريق إلى جني.

2 ـ مقاومة مملكة دندي للسيادة المغربية بالسودان النيجيري:

لعبت مملكة دندي بقيادة الأساكي المعارضين للسيادة الجديدة، دور المقاومة، ولـذلك قامت عدة صراعات بينهما نذكرها ترتيبا زمنيا كالآتي:

أ ـ الباشا محمود بن زرقون و الأسكيا نوح:

<u>الحملة الأولى:</u> بعد فراغ الباشا محمود بن زرقون من تصفية الأسكيا إسـحاق والأسـكيا محمد كاغ، تمهّدت له البلاد كما سبق ذكره. تجهّز للّحاق[2] بالأسكيا نوح بمملكـة دنـدي وتابعه بالغزو وبنى ابن زرقون قصبة بـ: كلن[3] ترك بها حامية عـسكرية(200راميـا) حيث استمر نوح بالانسحاب إلى الجنوب حتى الغابات الكثيفة(الغابات الاستوائية)، وهناك دبّر خطة للقضاء على الجيش المغربي، فخبّأ جيشه بتلك الغابات، لكن"...نجاهم الله مـن كيده..."[4]، ورموا الغابات بالرصاص والمدافع، فمات الكثير من جيش نوح. فـي هـذه الأثناء وبالمناطق الجنوبية قامت عدة معارك أرهقت الجيش المغربي، مما ألزم على ابـن زرقون طلب الإمدادات من السلطان، فكان له ذلك(06محلات تشمل2500). بالرغم من هذا رجع ابن زرقون إلى تنبكت أكتوبر/نوفمبر1593م، دون أن يقـضي علـى الأسـكيا نوح[5] "...وقد تضرّرا من طول ذلك المكث...من كثرة التعب وامتداد الجوع والنعـرى والمرض من وخم الأرض وضرب ماؤه كروشهم وأجراها ومات منهم كثير مـن غيـر موت المقاتلة..."[6].

---

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص119.

(2) يسمى اليوم الذي لحق فيه الباشا بن زرقون بالأسكيا نوح بـ: يوم رام. ينظر، كعت، المصدر السابق، ص168.

(3) كلن: منطقة تقع على الضفة الشرقية للنهر، على بعد حوالي500كلم جنوب غاو. الباحث.

(4) السعدي، المصدر السابق، ص154.

(5) B. Hama, op. cit, p257.و M. Delafosse, op. cit, p244.

(6) السعدي، المصدر السابق، ص155.

ومضى عامان على هذه الحال المأساوية للجيش المغربي، والتي يرجع سببها الأول لطبيعة المناخ القاسية بتلك المناطق الجنوبية[1] ببلاد السودان(خاصة منطقة الغابات).

الحملة الثانية: جهّز ابن زرقون جيشه(أكثر من 1200راميا) للمرة الثانية سنة1595م لمحاربة الأسكيا نوح وخرج من تنبكت إلى أرض الحجر(شاطىء صخري بالقرب في هنبر Hombori بالنيجر الأوسط غرب مدينة غاو).

وقبل هذا كان قد خرج القائد أحمد بن الحدّاد خفية إلى مراكش، وأخبر السلطان عن أعمال ابن زرقون بالسودان ـ قبض الفقهاء يأتي الحديث عنها لاحقا ـ، والأكيد أنه بالغ في الوشاية، لأجل العداوة بينهما"...قال أنّه لا يعرف إلا سيفه وحتى من نصر السلطان في نصرته يسل شيئا من سيفه..."[2]، لذلك غضب السلطان غضبا شديدا، فعزله بالقائد منصور، الباشا الثالث لبلاد السودان، وأمره بقتله.

كان محمود بن زرقون قد فتح هنبر والمناطق المجاورة لها، عندما وصله خبر القبض عليه وقتله، حينها توجه ابن زرقون مع أربعين راميا للصراع مع كفّار أرض الحجر مجازفا بهجوم صادق على العدو فلقي حتفه في ساحة القتال[3] ـ عارضه جيشه بالتوجه لذلك المكان، لخطورته ليلا ـ وهناك قتل ابن زرقون وقطعوا رأسه وأرسلوه إلى نوح الذي بعثه إلى سلطان كبي[4] وغرسه على عصا طويلة سنة1595م[5]. ورجع بقية الجيش مع الأسكيا سليمان عند جودر بتنبكت.

وخلال هذا بعث السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي، رسالة إلى بعض رؤساء الأقاليم الجنوبية يطلب إليهم أن يصفحوا عن كل من يظهر الإنابة والطاعة. وإليك مقتطف من رسالة المنصور إلى ملك كبي، الذي كان يساعد الأسكيا نوح؛ أسلوبها مزيج بين

(1) هذه المنطق الجنوبية القريبة من خط الاستواء،أو كما يعرف بالغابات الاستوائية، بمعنى أن الجيش المغربي وصل إلى شمال مملكة داهومي الوثنية(تقع عند مصبات نهر النيجر) ، كانت على عداء مع الأسكيين، حيث وصلها الأسكيا الحاج محمد الكبير بالغزو ولم يفلح هو الآخر، لقساوة طبيعتها أيضا. وتمتاز هذه المناطق بغزارة الأمطار،وكثافة أشجارها ونباتاتها، وتنتشر فيها المستنقعات، و الأوبئة، و الأخطر من كل هذا وجود الحشرات السامة، خاصة ذبابة تسي تسي. ينظر، عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص 159،160. و B. Hama, op. cit, p257

(2) السعدي، المصدر السابق، ص145،174.

(3) عبد الرحمان زكي، المرجع السابق، ص164.

(4) كبي: مركز سكاني، سكانها وثنيون، تقع إلى الشرق بالقرب من دندي. الباحث.

(5) M. Delafosse, op. cit, p248.

الترغيب والترهيب"......والتزمت أداء ما كنت تعطي لسكيه من القوارب وتخليت عن كل من جاءك من أهل الممالك التي وراءك إلى الدخول في طاعتنا التي عليك وعليهم فرض واجب، فأنت آمن مطمئن في نفسك ورعيتك وبلادك...ولك منا مع ذلك الإعتضاد بأجنادنا المظفرة بالله على أعداءك وأضدادك...ثم إن أبيت الإجابة فأبشر بعساكرنا......وقد أعذرنا إليك وأنذرناك فأختر لنفسك وتوخا سبيل رشدك..."[(1)].

ب ـ صراع القائد منصور مع جيش دندي:

وصل القائد منصور إلى تنبكت في 12مارس1595م، خلفا لسابقه، فأنتزع الجيش من جودر وخرج في جوان 1595م إلى الحجر، بجيش كبير3000 راميا، لينتقم لموت محمود بن زرقون، فأستطاع أن يهزم الأسكيا نوح وجيشه، الذي انسحب إلى دندي، هكذا رجع القائد منصور إلى العاصمة تنبكت بالكثير من السبايا، وتعهّد بهم للأسكيا سليمان. لكنّ المرض منعه من معاودة الغزو للمرّة الثانية وتوفي يوم 09 نوفمبر 1596م[(2)].

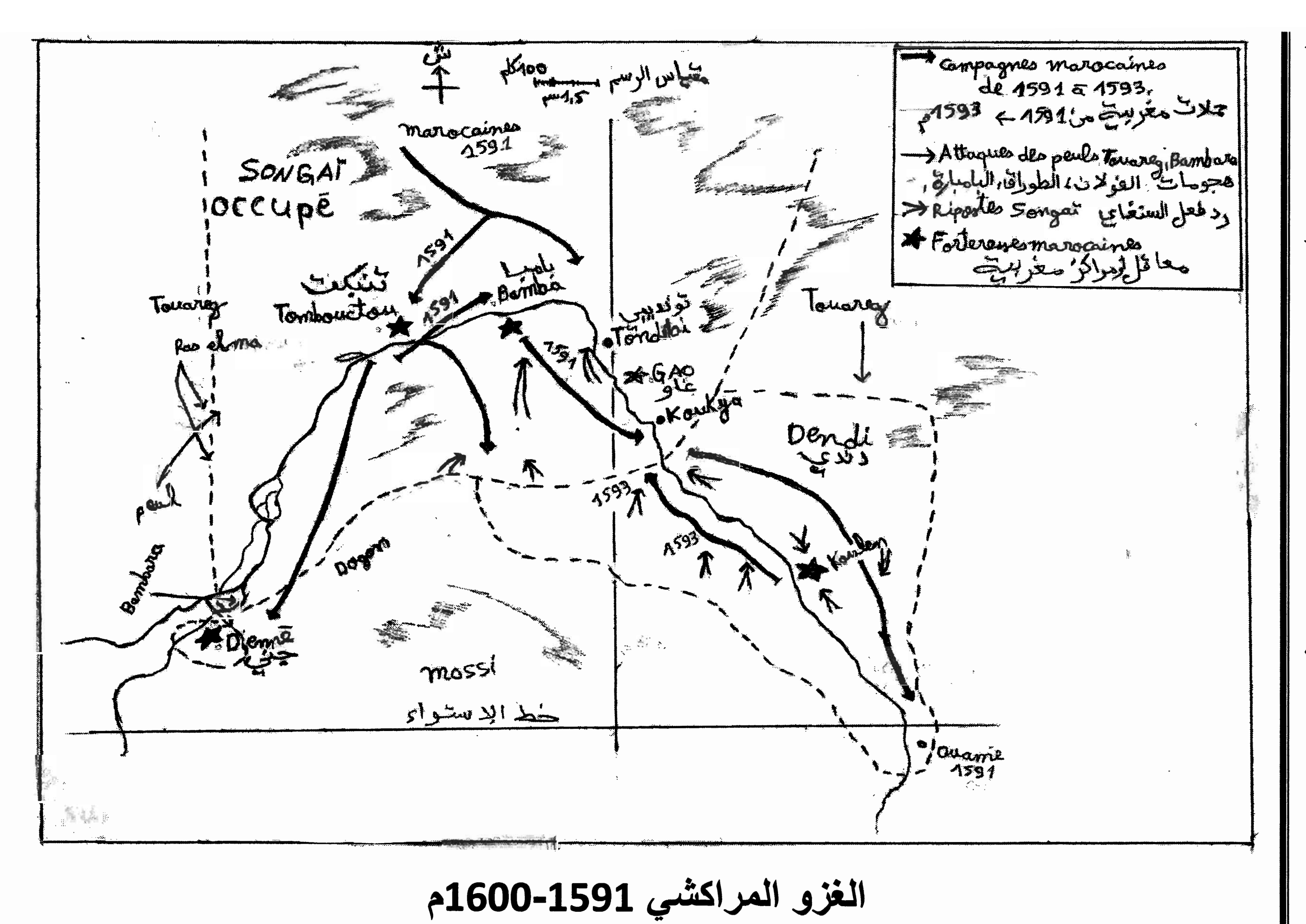
أمّا الباشوات من بعده، محمد طابع، عمّار، سليمان، ومحمود لنك، فلم يقوموا بالغزو نحو الجنوب، لاشتغالهم بإصلاح أحوال البلاد، وإخماد بعض التمردات الداخلية. هذا في الوقت الذي تخلى أساكي دندي عن أرض هنبرHombori، لكنهم واصلوا المقاومة ضدّ السيادة المغربية عن طريق حرب العصابات، حتى لا يصطدموا مباشرة مع الجيش المغربي[(3)]. وهذا ماحدث سنة 1607م و سنة 1609م عندما خرج جيش الجنوب لمهاجمة البلاد والشعوب الخاضعة للسعديين، لكنّهم سرعان ما يفرّوا عند سماعهم بمجيء حامية الإنقاذ بقيادة القائد علي التلمساني[(4)]. وأستمر الحال هكذا إلى غاية معركة 1612م.

(1) عبد الله كنون، المرجع السابق، ص127-132.

(2) M. Delafosse, op. cit, p249.

(3) B. Hama, op. cit, p258.

(4) السعدي، المصدر السابق، ص 194،195. وM. Delafosse, op. cit , p252.



الغزو المراكشي 1591-1600م

S.M.Cissoko, L'Afrique Occidentale..., Op. Cit, p 190. (بتصرف)

ج ـ معركة 1612م:

بادر أسكيا مملكة دندي بإرسال حملة "...أنّه يقصدهم بغزو كبير..."، فخرج له القائد المغربي علي بن عبد الله التلمساني "...بجيش عظيم..."[1] يتجاوز 3000 راميا.

وألتقى الجيشان بمنطقة شرك شرك بين هنبرHombori ودوريDori ـ خارج منطقة السيادة المغربية ـ لكنّ الجيشان تملّكهما الخوف وتجنّبا المعركة، وهكذا عادوا بدون قتال، وبدون أي اتفاق أو معاهدة بينهما[2].

يظهر لنا فيما بعد أنّ المقاومة توقفت نهائيا، لذلك فإنّنا نرجح حصول اتفاق سلام بينهما في معركة 1612م، وتحولت المقاومة إلى نوع من العلاقات الودية؛ فها نحن نجد سنة 1630م، تبادلا للهدايا وعلاقة زوجية بين الباشا علي بن عبد القادر(1627-1632م) وابنة الأسكيا داود ملك دندي "...فكان ذلك الصلح والزواج فتح طرق المحبة والأمانة بينهما..."[3].

وقد تطورت العلاقات بينهما إلى نوع من التبعية السياسية، فها هو إسماعيل أخ الأسكيا داود يرحل سنة 1635م إلى تنبكت؛ يطلب المساعدة العسكرية لعزل أخيه، فكان له ذلك لكن تمرّده فيما بعد على الحامية المغربية التي ساعدته، جلب له سنة 1639م حملة عسكرية بقيادة الباشا مسعود بن منصور(1639-1643م) يصحبه أسكيا الشمال محمد بنكن، إلى دندي، حيث هزموا الأسكيا إسماعيل وسبوا أمواله وعياله، ثمّ رجع إلى تنبكت بعد أن عين محمد بن داود أسكيا لهم بالمملكة دندي، والذي تمّ عزله بعد رحيل الجيش المغربي[4].

هكذا منذ سنة 1640م، أصبحت مملكة دندي مضطربة وتقلصت إلى الجنوب، إلا أنّها بقيت مستقلة، وهذا ما نتبينه من حملة الباشا حميد بن عبد الرحمان سنة 1647م، إلى أرض الحجر، وعاد لتنبكت دون أي مقاومة من مملكة دندي.

---

(1) السعدي، المصدر السابق، ص253.

(2) S. M. Cissoko, Histoire de l' Afrique occidentale..., op. cit, p193.و
M. Delafosse, op. cit, p253.

(3) السعدي، المصدر السابق، ص233.

(4) نفسه، ص 261، 262. و B. Hama, op. cit, p261

3 ــ الصراع مع القوة السياسية الثانية بالمنطقة(الطوارق، الفولان، البرابيش):

أ ــ هجوم الطوارق للعاصمة تنبكت:

تسابق عدد من ملوك السودان الغربي، إلى كسب ودّ الطوارق والتودّد لهم، خاصة في عهد السلطان الأسكيا إسحاق الأول(1539-1549م)، الذي عرف قوتهم وشدّتهم فكسبهم لصالحه بعد أن كانوا ضدّه، وسخّرهم في إظهار قوة سنغاي لدى مراكش، الذين بدأوا يتطلّعون إلى دخول المنطقة، حيث أرسل فرقة من فرسانهم، إلى مشارف مراكش والإغارة عليها، دون أن يقتلوا أحدا[1].

وعندما جاء جيش السلطان أحمد المنصور، قاومه الطوارق، حيث أغار رئيس الطوارق وأتباعه من الزغرانيين يوم10أكتوبر1591م على معقل القائد مصطفى التركي بتنبكت، لكن تمّ قتله على يد الجيش المغربي، وعلقوا رأسه على عصا بالمدينة، حينها قتل الجيش المغربي عددا من السكان دون تمييز "...فاستوقدت نار الفتنة..."[2] بسبب خديم الشرع وهو من أفسق الناس في وقته حيث بدّل قول القاضي الذي يأمر أهل تنبكت بالتزام الهدوء والأخذ بالحذر إلى قوله يأمركم بالجهاد والثورة على الجيش المغربي، فكان قتالا شديدا في نهاية أكتوبر1591م، استغله الطوارق لحرق المدينة وقتل الحامية العسكرية ومحاصرة القائد مصطفى، حتى وصول الإمدادات لإنقاذه في ديسمبر1591م بقيادة القائد مامي بارون، وطرد الطوارق من المدينة[3].

ولمّا عاد الباشا محمود بن زرقون سنة1593م من غزوته الأولى لمملكة دندي، قرّر الذهاب إلى قرية رأس الماء للانتقام من الطوارق، الذين هاجموا تنبكت وخرّبوها سابقا فقضى عليهم وأعوانهم من الزغرانيين والصنهاجيين، وغنم مالا منها[4]، ولمّا فرغ من هذا بدأ في تدبير قبض الفقهاء.

(1) المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 228، 230.
(2) السعدي، المصدر السابق، ص147.
(3) M. Delafosse, op. cit, pp245 ,246.
(4) كعت، المصدر السابق، ص173.

ب ـ الصراع مع ماسينا(الفولان):

مثلت قبائل الفولان، ثقلا سياسيا واقتصاديا وروحيا، بالسودان الغربي، جعلها تقاوم السيادة المغربية بالمنطقة منذ البداية.

<u>حمد أمنة(1583-1603م):</u> بعد خضوع مدينة جني للسيادة المغربية على يد القائد مارون بداية سنة1592م؛ فرضوا ضريبة من الماشية على حمد أمنة ملك ماسينا، الذي انحنى أمام الأسلحة النارية المغربية[1]. لكنه سرعان ما تمرّد، وأعتبر تلك الضريبة نهب للبلاد، عندما رفضوا طلبه في الاستشفاع للفقهاء ـ عند قبض فقهاء تنبكت 1594م ـ فشكل تحالفا مع كفار بنبرBanbara[2]، فخرج لهم القائد مصطفى التركي في 700 راميا مع الأخيار من أهل سنغاي، فهزمه وعين مكانه حمد عائشة سلطانا لـ:ماسينا[3].

يظهر حمد أمنة مرّة أخرى سنة1599م في تحالفا آخر مع ملك مالي لغزو مدينة جني، لكنّه هزم أيضا، ومع هذا لم تتلاش عزيمة حمد أمنة وحقق هزيمة ساحقة على حامية الشاوش سليمان، وأرجعوه على سلطنته ماسينا بعد أن وقع الصلح بينهما[4]، دون إذعان صريح من حمد أمنة بالتبعية للسيادة المغربية[5].

<u>حمد أمنة الثاني(1627-1663م):</u> رفض الولاء للسيادة المغربية منذ توليه على سلطنة ماسينا سنة1627م، وكان في الباشاوية يومها الباشا علي بن عبد القادر(1627-1632م) فأرسل حملة عسكرية فشلت في القبض عليه وعادت إلى تنبكت، ولجأ الباشا إلى استعمال طريقة الرسائل السلمية، لعب خلالها عبد الرحمان السعدي دور الوساطة للسلام سنة 1629م، بين الباشا وحمد أمنة الثاني[6]؛ وقد نجح ذلك الصلح؛ فقد وصل حمد أمنة

---

(1) S. M. Cissoko, op. cit, p222.

(2) بنبر، أو بامبارا: هم شعب وثني يتكلمون لغة الماندي، يعتقد أنّهم جاءوا من الجنوب، وهاجروا للشمال حتى منطقة ماسينا، بداية وصولهم إلى هناك منذ القرن 12م، خضعوا لإمبراطورية مالي ، ثم إمبراطورية سنغاي، في حين لم يخضعوا للسيادة المغربية على بلاد السودان النيجيري سنة1591م، وبقوا على وثنيتهم، إلى أواخر القرن 17م شكلوا مملكتين: سيقو في الجنوب: وكارتا شمالا. للمزيد ينظر، يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص163.

(3) السعدي: المصدر السابق، ص181.

(4) S. M. Cissoko, op. cit, p223.

(5) H. Deschamps, Histoire générale de l'Afrique noire, op. cit, p279.

(6) M. Delafosse, op. cit, p229.

للأسوار مدينة جني سنة 1634م "...إنّما أتى من أجل خديمه الذي هرب منه إلى أعدائه وأنّهم ما عرفوه بالخروج من الطاعة..."[1].

حملة الباشا بن عثمان(1643-1646م) على ماسينا: نظّم الباشا بن عثمان مع أسكيا الشمال الحاج محمد الرابع يوم20ماي1644م، حملة لغزو حمد أمنة الثاني سلطان ماسينا"...صاحب التمرّد والعناد والبغي والفساد والطاغي..."[2]. فتصدّى لهم حمد أمنة لكنّه اضطر في النهاية للانسحاب إلى منطقة كيكيKéké، وعيّنوا حمد فاطمة سلطانا لـ:ماسينا، لكن رغم تحالف البنبرBambara، والمناطق المجاورة مع الجيش المغربي لم ينحن لهم[3]، واستطاع قتل حمد فاطمة، والرجوع على سلطنته في18سبتمبر1644م[4] بعد عودة الجيش المغربي.

أسرع حمد أمنة الثاني بطلب الصلح من الباشا "...فقبلهم الباشا وقبل الصلح واجازه..."[5]. وبقيت مدينة جني معزولة تتكبّد مضايقته[6].

(1) السعدي، المصدر السابق، ص255.

(2) نفسه، ص267.

(3) S. M. Cissoko, op. cit, p223. و H. Deshamps, op. cit, p279.

(4) M. Delafosse, op. cit, p230.

(5) السعدي، المصدر السابق، ص276.

(6) H. Deschamps, op. cit, p279.

ج ـ البرابيش[1]:

شكلت قبائل البرابيش في منطقة السودان الغربي؛ ثقلا سياسيا واقتصاديا لــه حــسابه لذلك تسابقت القوى السياسية، التي قامت بالمنطقة على كسب ودّها، ففي عهد سنغاي كان جلّ سلاطينها مع علاقة وطيدة بأمراء البرابيش، واستمرت العلاقات بيــنهم إلــى فتــرة تطلعات الدولة السعدية على المنطقة، فتحوّلت أنظارهم إلى مساندة جيش السلطان أحمــد المنصور وتزكيته، خاصة الفخذ القادم من المغرب الأقصى[2].

استمرت قبيلة البرابيش تمثّل الثقل السياسي بالمنطقة، فعندما دخل شمس الدين مرسول القاضي عمر، بعد قبض فقهاء تنبكت، في حمى شيخ أولاد عبد الرحمــان عيــسى بــن سليمان البربوشي وراء تغاز، فحماه من الباشا بن زرقون وأوصله بنفسه دون أي أذى[3].

وأثناء رحلة الباشا علي بن عبد القادر إلى الحج في سبتمبر1631م، لحقه الفلالي بــن عيسى الرحماني البربوشي وأصحابه، وهاجمه بواحة توات، حتى صدّه عن الرحلة، وعاد إلى تنبكت[4]. هذا ما يؤكّد لنا سيطرة قبائل البرابيش على الصحراء.

د ـ هجرات وتمرّدات(الفولان، الطوارق والبرابيش):

يظهر من خلال حملة الباشا حميد بن عبد الرحمان فــي 07 جــوان 1647م، إلــى الجنوب، قد اصطدم مع الفولانيين بمنطقة الحجر، وتابع رئيسهم حمد بلل إلــى الجنــوب دون جدوى[5]. لنجد الفولان مرة أخرى سنة 1653م، في تمرد بمدينة غاو، ثم انــسحابهم إلى الجنوب بمملكة دندي"...فوصلو إلى بلاد أسكيا..."[6].

---

(1) البرابيش: بقيت هذه التسمية وأصلها مجهولة لحدّ اليوم، لكنّها حسب الروايات الشفهية تعني مجموعة من الأفخاذ توحّدوا تحت تسمية البرابيش. وأفاد بول مارتي في كتابه البرابيش بنو حسّان، أنّ البرابيش ينتمون إلى ثلاث فئات هي: الأولى مجموعة عربية مغربية طارقية، والثانية والثالثة عربيتان(حسّان أولاد حم، وحسّان أولاد رزق). لهم انتشار واسع بالسودان الغربي منها في: ولاتة، أروان، قندام، تنبكت، بوري، موبتي، غاو، وقرى من بوكينا فاسو والسنغال وتشاد. ينظر، المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 250،251 .

(2) نفسه، ص257.

(3) السعدي، المصدر السابق، ص172.

(4) نفسه، ص 233،234.

(5) M. Delafosse, op. cit, p257.

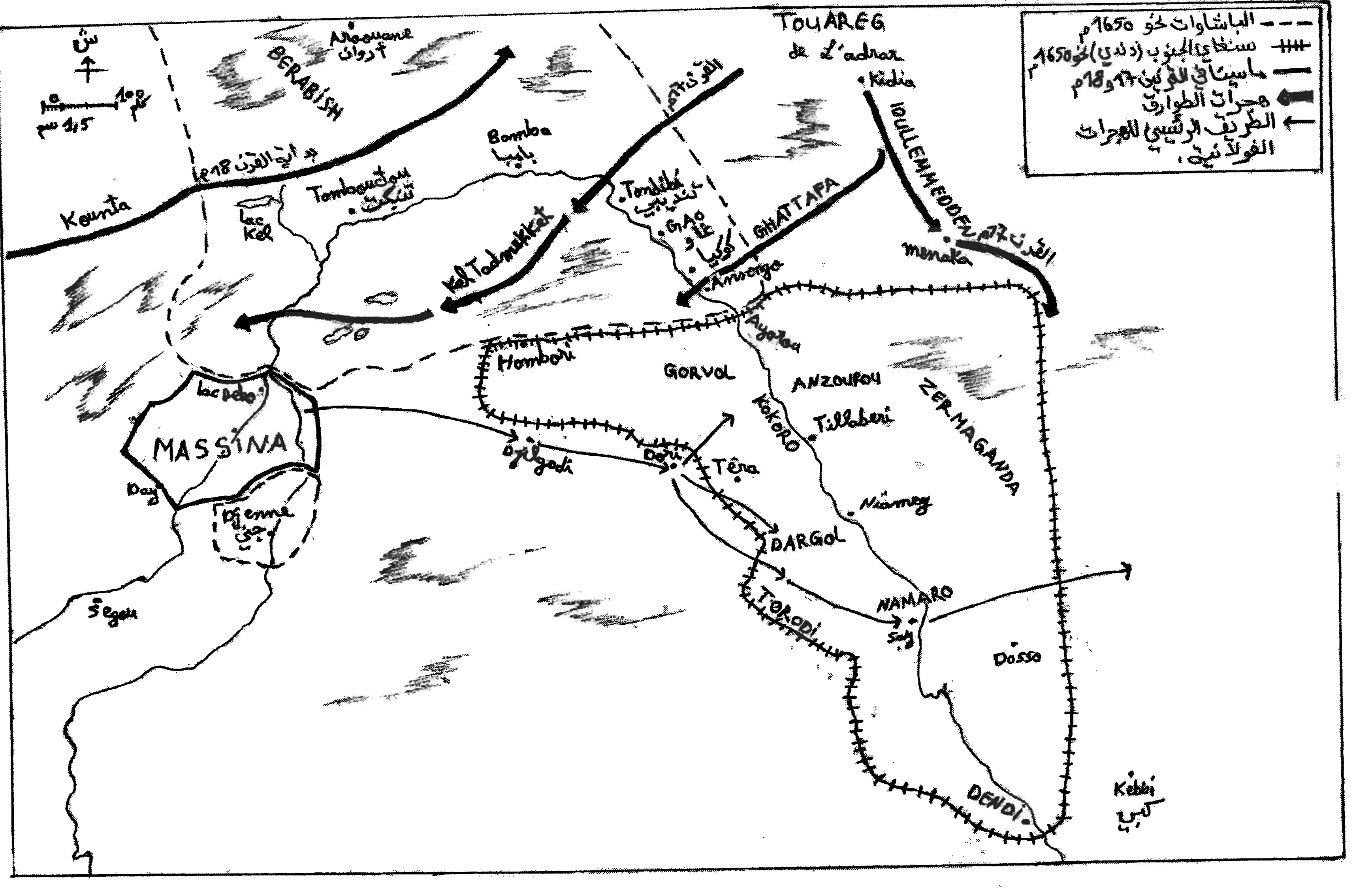
(6) السعدي، المصدر السابق، ص292.

أمّا الطوارق والبرابيش فقد خالفوا سنة 1651م بمنطقة بنبBamba، في فترة الباشا يحي بن محمد الغرناطي، الذي استطاع ردعهم"... ففرّ البرابيش والطوارق وتفرّقوا شذر مذر..."[1]. وقد خالف رئيس الطوارق سنة 1653م، وهرب في تحالف مع الفولان والعرب من غاو إلى الجنوب، إلى غاية حكم الباشا محمد بن أحمد(1655–1657م) دخل في طاعته طوارق الحجر خاصة منطقة تادمكت[2].

ممّا سبق يظهر لنا جليا خط هجرات القبائل السابقة، الذي يتحوّل من الشمال الصحراوي والجهة الغربية لنهر النيجر، إلى شرق النهر والجنوب حيث الغابات الاستوائية.

(1) السعدي، المصدر السابق، ص259.

(2) M. Delafosse, op. cit, p259.



La Boucle Du Niger حوض النيجر

H.Deshamps, Histoire Générale De L'afrique noire, Op. Cit, p 274.(بتصرف)

4 ـ أهمّ الأحداث الداخلية(1591-1660):

نؤمن لحدّ الآن، وأمام هذه الظروف العسكرية، بأن نسمع بأحداث لها صداها على تغيرات طابع المنطقة بخلافات داخلية، أو تمردات على السيادة المغربية ببلاد السودان النيجيري، لها أسبابها، وعليها كيفية إخمادها.

أ ـ قضية قبض الفقهاء:

تمثل قضية قبض الفقهاء الحدث الأكثر أهمية، الذي يتذرع به كلّ من يحكم ضدّ السيادة المغربية السعدية، دون مراعاة كافة جوانب القضية.

لمّا دخل جيش المنصور لبلاد السودان، لم يتعرض الباشا جودر، ثمّ الباشا بن زرقون للعلماء، وأبقوهم على حالهم، إلى غاية قبضهم يوم20أكتوبر1593م.

ـ أسباب القبض:

1) فتنة تنبكت السابقة الذكر، والتي كان سببها مغالطة خديم الشرع، الذي بدّل قول القاضي عمر والفقهاء، إلى قولهم يأمركم بالجهاد والثورة على المغربيين، وهذا الخديم معتمد ومكلف من طرف الفقهاء، وهو من أفسق الناس يومها، لذلك فهذه الفتوة تحسب لهم، ثم عليهم.

لهذا يكون قد وشى أحد بهم للسلطان المنصور، فأرسل للباشا ابن زرقون بالقبض عليهم وتغريبهم إلى مراكش[1].

2) صرّح الفقيه أحمد بابا التنبكتي[2]، برفضه وعدم وجود أي حقّ للسلطان السعدي بالسودان، وبذلك أصبح رئيس مقاومة المتصلبين برأيهم، في التعرض للحملة المغربية[3].

---

(1) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص205.وزبادية، المرجع السابق، ص139. والسلاوي، المصدر السابق، ص134.

(2) أحمد بابا التنبكتي: هو العلامة أبو العبّاس أحمد بن ثلاثة أحمد بن عمر بن محمد أقيت ...الصنهاجي الماسني، ولد في منطقة أروان شمال تنبكت عام 1553م، ونشأ وتثقف في تنبكت، نبغ في علوم الفقه والحديث والآداب العربية والمنطق وعلم الفرائض والبلاغة وقواعد اللغة، قال عنه تلميذه السعدي أنّه عالم زمانه بلا منازع(يقصد بالسودان). له عدّة تآليف حوالي أربعين مؤلفا. نفي سنة1593م إلى مراكش بعد الحملة المغربية حوالي 13سنة، وعاد بعدها ليتفرغ للعلم والتدريس والتأليف، توفي سنة 1627م. ينظر، البرتلي، المصدر السابق، ص31-37.

(3) Mahmoud A-Zouber, **Ahmad baba de Tombouctou 1556-1627, sa vie et son œuvre**, Maisonneuve et Larose, Paris, 1977, p24.

3) ورد في كتاب بعثه الباشا ابن زرقون إلى السلطان المنصور، أسباب اعتقال الفقهاء وهي: "... وليعلم أمير المؤمنين ... أنّنا ما قبضنا هؤلاء الفقهاء ... إلا أن ظهر لنا ما في نفوسهم من عداوة السلطان وبغضه، وتحققنا أنّ قلوبهم مع أسكي وهم على كيدهم ويجمعون لهم الرجال لمحاربتنا متفقين على الفساد، بعد أن قتلوا من جيش السلطان ثلاثة وسبعين رجلا، ومنه شهادة جلّ أعيان تنبكت وكبرائها على ذلك..."[1].

– **القبض على الفقهاء:**

لمّا فرغ الباشا بن زرقون من حساباته مع الطوارق، طلب تجديد البيعة للسلطان بمسجد سنكري[2]، في أكتوبر 1593م، وقد حلف بالبيعة جميع السكان[3]، ويبدوا أنّ هؤلاء الفقهاء، رفضوا مبايعة السلطان، خاصة المؤيدين لأحمد بابا التنبكتي، وعائلة أقيت الذين يجهرون بعدائهم للجيش المغربي. لهذا تمّ القبض عليهم، وإرسالهم للقصبة.

وأثناء الطريق اقتتلوا مع الرماة، فقُتل منهم 14 رجلا، ولمّا وصل الخبر للباشا بن زرقون وهو مازال بالمسجد"...فقال ما أمر به، وبعث لهم النهي عن العودة على مثله..."[4].

لكن نهب الباشا ابن زرقون أموال وخيرات الفقهاء المسجونين، وضاعت كتبهم فمكتبة أحمد بابا التنبكتي احتوت على حوالي 1600 كتابا[5]. وبعث للسلطان أحمد المنصور 100000 مثقال ذهبا=(470كلغ ذهب)[6]. وكان قبل هذا قد أرسل له هدية ضخمة من الذهب والذخائر[7].

---

(1) كعت، المصدر السابق، ص176.

(2) مسجد سنكري: يقع بـ: تنبكت، بنته امرأة غلالية فاضلة، ذات مال كثير، تدعى فاطمة، وأصبح سنكري منارة من منارات العلم والعبادة، وقد درس به صفوة من علماء الشمال الإفريقي، وقد تمّ تجديده في عدّة حقب تاريخية، ولا يوجد تاريخ ثابت لبنائه، ربمّا يكون في القرن 10هـ/16م، في أوّل مملكة الأسكيين.

ينظر، أحمد بابير الأرواني، المصدر السابق، ص 72،73.

(3) السعدي، المصدر السابق، ص169.

(4) نفسه، ص170.

(5) الوفراني، المصدر السابق، ص97.

(6) J. Ki-Zerbo, op. cit, p200.

(7) الوفراني، المصدر السابق، ص97.

ثمّ أرسلهم إلى مراكش مع أولادهم ونسائهم في حوالي السبعين نفرا[1]، التي دخلوها في رمضان من العام بعده 1003هـ/19 ماي 1595م. وبقوا في حكم الثقاف(السجن) حتى انصرفت عنهم المحنة، فسرّحوهم يوم الأحد 21 رمضان 1004هـ/ماي 1596م[2].

يمكن القول أن الزمن الطويل لقطع المسافة، لعب دورا في هذه القضية، وهذا ما نتبينه من ترتيب أحداثها كالآتي:

- فتنة تنبكت أكتوبر 1591م، التي كان سببها خطأ الفقهاء(سبق ذكرها).
- وصلت وشاية للسلطان أحمد المنصور، بخبر الفتنة، ومعارضة الفقهاء.
- أرسل السلطان أحمد المنصور أمره للباشا ابن زرقون، بالقبض على الفقهاء. ونعلم ممّا سبق أنّ الباشا بن زرقون كان بالجنوب.
- أرسل القاضي عمر في أكتوبر1592م، وفدا للسلطان بمراكش، يطلب العفو ممّا صدر منهم من الفتنة، ويشكوا من الجيش المغربي.
- بقاء الوفد السوداني مدّة سنة بمراكش، وقد أكرمهم السلطان، وأعطى لهم الأمان.
- قبض الفقهاء كان في أكتوبر 1593م.

هكذا يظهر جليا أن القبض على الفقهاء، كان قبل وصول براءة الأمان وتنازل السلطان أحمد المنصور على أمره بالقبض عليهم، عند الباشا ابن زرقون. فعندما أمسك محمد بن إيد براءة من السلطان أحمد المنصور، لم يتعرّض له الباشا[3].

(1) كعت، المصدر السابق، ص174.
(2) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص97.
(3) السعدي، المصدر السابق، ص172.

ب ـ التمرّدات وإخمادها(1591-1660م):

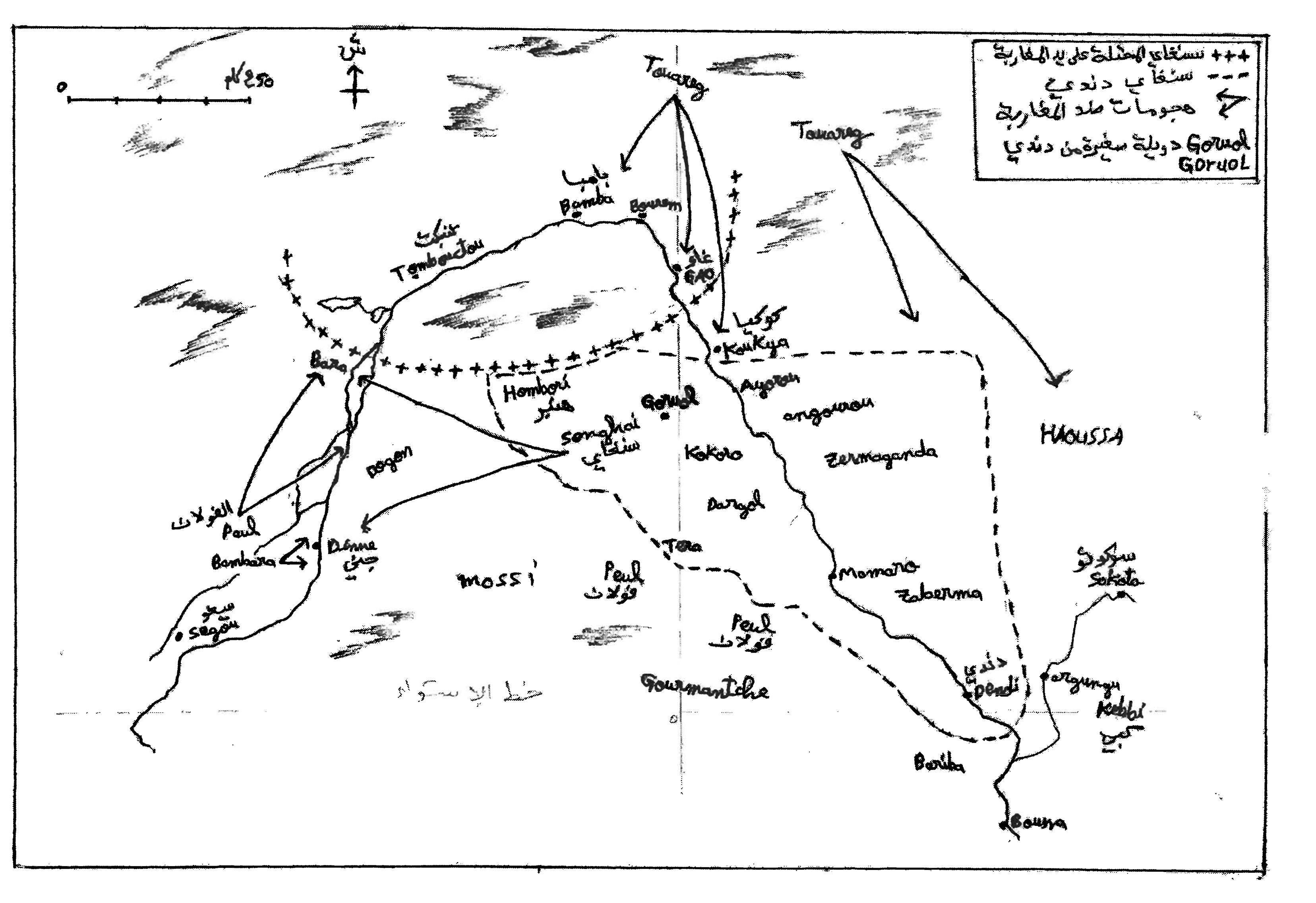
بدأت تظهر بوادر الخلافات، في الفترة الثانية من السيادة المغربية السعدية على بلاد السودان النيجيري(1612-1660م)، التي تمّ فيها اختيار الباشوات من القادة الأوائل بالمنطقة، عن طريق الجيش، ويتشكل هذا الأخير منذ البداية من ثلاث أفواج هي: الفوج القادم من مراكش، والفوج القادم من فاس، وفوج الأندلسيين والعلوج أو الشراقة. ولكل فوج قائد له سلطته[1]. في هذه الفترة أراد كلّ فوج أن يختار الباشا من حصنه. هذا الذي يعكسه عزل الباشوات المستمر، على الرغم من اتفاق الجيش عند تعيين الباشا الجديد.

هكذا نجد في أواخر هذه المرحلة(مرحلة السيادة المغربية السعدية ببلاد السودان النيجيري:(1591-1660م)؛ أول صراع مباشر بين طائفة الشراقة المغربية سنة1655م حيث اختلفوا في تعيين الكواهي. ولم يصطلحوا حتى أصلح بينهم الباشا محمد بن أحمد(1655-1657م)؛ وهو رجل مصلح اهتم بإصلاح الفساد، وجمعهم على كاهية واحد[2]. وفي نفس الوقت تغلّب على جنكي، الذي كان يحاصر مدينة جني منذ سنة1653م "...مع جيشه الأرذلين الخاسرين ...وأهلكه الله ودمّره تدميرا......وأراح البلاد والعباد منه..."[3].

(1) M. Delafosse, op. cit, p262.

(2) السعدي، المصدر السابق، ص321.

(3) نفسه، ص323.



Le Songhai en 1660 .سنغاي في سنة 1660م

S.M. Cissoko, Histoire de L'Afrique occidentale..., Op. Cit, p227. (بتصرف)

الفصل الرابع

مآثر السيادة المغربية السعدية بالبلاد السودانية(1591-1660م)

1 ـ السياسة الباشوية بالبلاد السودانية(1591-1660م):

أ ـ الفترة الأولى(1591-1612م)

ب ـ الفترة الثانية(1612-1660م)

2 ـ المآثر الدينية(انتشار الإسلام):

أ ـ القضاة بمدينة تنبكت

ب ـ الأئمة بمدينة تنبكت: ـ الجامع الكبير ـ مسجد سيدي يحي ـ مسجد سنكري

ج ـ بناء المساجد

3 ـ المآثر الثقافية:

أ ـ حركة التأليف

ب ـ التعليم

ج ـ العلماء

4 ـ المآثر الاقتصادية:

أ ـ الزراعة

ب ـ الصناعة

ج ـ الآثار التجارية ومعدن الذهب: ـ إحصائيات لما وصل السلطان من بلاد السودان

ـ التنظيمات التجارية

5 ـ السودان النيجيري في الفترة(1660-1893م):

"... وكثر قرّاءها وأدباؤها من كوكي إلى جني، وجمع شملها وأقامها أتمّ قيام، وأفاض الله البركة في برّها وبحرها ... وأكثر الخير فيها، حتى كاد النّاس ينسون دولة سنغي ... وأكثر الله الحيتان في البحور ويتصيّد فيها الصيّادون ما لا يحصى من الحيتان، وأثمر أشجار الفيافي وعشوشبت وعاش النّاس من ثمارها سنينا، حتّى دخل النّاس في الحرث وأشتغلوا به، وأكثر الله الغيث وأنبت الزروع وحصدوا منها كثيرا، ورخص الطعام من كل جانب ومكان...... وبلغ صرف المثقال ثلاثة آلاف ودعا ورخص سلع الغرب..."

كعت، تاريخ الفتّاش...، ص 181،183

1 ـ السياسة الباشوية بالبلاد السودانية(1591-1660م):

يؤكد السعدي عبد الرحمان ــ وهو معاصر ــ عدالة الحكم المغربي في السودان، بأنّ سلوك أغلبية الباشوات والمسؤولين المغربيين كان محمودا. وإليك نموذجا لهذا:

أ ـ الفترة الأولى(1591- 1612م):

أولى المآثر، التي تذكر لصالح الباشا جودر والحملة المغربية، أنّه لم ينهب مدينة تنبكت، ولم ينتهك حرمة سكانها، الذين وثقوا في السعديين، ولم يجلو عنها، كما صنع سكان العاصمة غاو[1]. وما زالت صورة الباشا جودر، الرجل الصالح في أذهان النّاس إلى غاية الآن، ومازالت سلالته مستمرّة[2].

وعندما أخذت الأوضاع تستقرّ، ولّوا على بلاد السودان الأسكيا سليمان"...وأكرم الباشا محمود، سليمان غاية الإكرام حتى جعله أسكيا عليهم..."[3].

وقد كان القائد منصور؛ رجلا مباركا عدلا، ذا حكم سديد في الجيش، وأمسك أيدي الظلمة الفسقة على المسلمين، فصار يحبّه الضعفاء، والمساكين، ويبغضه الفسقة الظالمون. أمّا الباشا محمد طابع؛ فذو معرفة، ورأي وتدبير[4].

والباشا سليمان، كان ذا همّة عالية ورأي فائق، وتدبير عجيب، وحكم سديد، وسار بذلك في الجيش كلّه[5].

وعن القائد مامي المغربي، ذكر السعدي في تاريخه"... ثمّ جاء القائد مامي إلى جني وأصلح من أمور البلاد ما أصلح، ثمّ رجع القائد مامي لتنبكت، وقد استقام الحال، بحيث لم يبق في تلك الناحية ما يشوش البال والحمد لله الكبير المتعال..."[6].

(1) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص333.
(2) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص204.
(3) السعدي، المصدر السابق، ص152.
(4) نفسه، ص177. وكعت، المصدر السابق، ص183.
(5) السعدي، المصدر السابق، ص190.
(6) نفسه، ص162.

ب ــ الفترة الثانية(1612- 1660م):

رجع الباشا عمّار سنة 1618م إلى مراكش، وترك البلاد على أحسن حال، بلا محنة ولا بلاء. أمّا الباشا حدّ بن يوسف كان واليا مباركا ميمونا، وكانت أيامه غرّة منيرة وسار الباشا يوسف بن عمر القصري على سيرة سابقه[1].

في حين كان الباشا علي بن عبد القادر سيف الله المسلول، حتى طوّع المعتدين ولازموا الجوامع[2]. وقد ترك الباشا محمد بن محمد بن عثمان مالا كثيرا، ولمّا حضر للحساب بعد عزله، خرج سالما، ولم يتبعوه بشيء. والباشا أحمد بن الباشا علي التلمساني لم يحدث في أيامه سوء، لحسن تسييره؛ فكان ذا جود وسخاء وحلم وحياء، وطيّب الأصل ابن أبيه في الفضل، صحيح القول، مليح الفعل[3].

أمّا الباشا أحمد بن الباشا حدّ بن يوسف"... كان رفيقا بالنّاس معظما للعلماء والصالحين وأهل الفضل كلّهم..."[4].

وكان الباشا محمد بن أحمد بن سعود الشاظمي؛ رجلا مباركا ومصلحا، اهتم بإصلاح البلاد[5]. فكان آخر الباشوات السعديين، قبل الباشا محمد الشطوكي بوي(1657-1660م) الذي رغب في قطع الصلة"...إنّي ما أريد أن أكون لكم باشا وإنّما أريد أن أكون سلطان أمير المؤمنين وخليفة المسلمين..."[6]، وكان له ذلك سنة1660م، كما ذكرنا سابقا.

بعد قراءة لسلوكيات الباشوات، ببلاد السودان النيجيري، يتضح لنا بذل مجهودات لأجل الإصلاحات في كلّ المجالات...، هذا الذي فرض علينا دراسة لمآثر الحكم المغربي ببلاد السودان. والغريب في الأمر أنّ أغلب المؤرخين، لا يعطوا هذه السلوكيات أيّ دراسة ويتغاضون عنها، ويرفضونها وبجرّة قلم. ممّا زاد رغبتنا في التمعّن بها أكثر.

(1) السعدي، المصدر السابق، ص 223، 226.
(2) نفسه، ص228.
(3) نفسه.
(4) نفسه، ص291.
(5) نفسه، ص320.
(6) مجهول، تذكرة النسيان...، المصدر السابق، ص90.

وهاهو المؤرخ Delafosse، يقرّ بهذه السلوكيات السابقة للباشوات، على أساس أنّهم أوروبيين، وليسوا عربا أو بربرا[1]. ويتجاهل أنّه لا فرق بين عربي ولا أوربي ولا......، عند التعامل مع الدين الإسلامي. وأنّ كلّ الباشوات كانوا مسلمين.

2 ـ المآثر الدينية(انتشار الإسلام):

كانت بلاد السودان النيجيري أواخر القرن 16م، تعج بالوثنيين، أو كما نسميه نوع من الارتداد عن الدين الإسلامي، استنادا لما ورد في كتاب تاريخ السودان ص144 "...بدّلوا نعم الله كفرا..."(ينظر الفصل الأول: الأوضاع الدينية)، وتحتاج لمن يرشدها ويردّها إلى طريق الإسلام، والدعوة الإسلامية. ونستطيع القول أنّ الإسلام في بلاد السودان، كان مشوّها بالوثنية.

ويذكر الفشتالي أنه بحملة المنصور على بلاد السودان"...اجتمعت اليوم ـ بحمد الله ـ بانتظام هذه الممالك، كلمة الإسلام..."[2]. وظهرت الإمبراطورية الإسلامية الكبرى، التي طمح لها أحمد المنصور، وكان عليه قيادتها بحنكة ودراية.

وقد تبع هذه الحملة وصول جماعات كبيرة من العلماء المغربيين، للتدريس خاصة في جامع سنكري، والدعوة للإسلام، وإصلاح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، وبناء المدارس الإسلامية والمساجد في المدن الكبرى. وقد أرسل السلطان المنصور إثر وصول أول بشرى بالنصر، مع محمود بن زرقون، ستين(60) عالما وفقيها مغربيا، مهمتهم الدعوة للإسلام[3]، وقد سبق القول أنّ حملة الباشا جودر ضمّت أشخاصا مؤهلين للقيام بالدعوة الإسلامية، ووعاظا للجيش نفسه.

لهذا فإنّ الإسلام انتشر، انتشارا واسعا على أيدي رجال الحملة المغربية؛ ومن ذلك المناطق الجنوبية والوسطى للنهر، ومنطقة ماسينا، حيث كان المغربيون يجدون بعض سكانها على الوثنية، فيفرضون عنهم مقدارا كبيرا للجزية[4]، حتى أسلم الكثير من النّاس

---

(1) M. Delafosse, op. cit, pp 267,268.

(2) الفشتالي، المصدر السابق، ص145.

(3) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص225.

(4) الجزية: هي مقدار من المال، يفرض على المناطق غير الإسلامية، والتابعة للدولة الإسلامية، حتى تدخل الإسلام فترفع عنها. الباحث.

ودخل في البيعة[1]. ويذهب محمد الغربي في كتابه: بداية الحكم المغربي في بلاد السودان الغربي ص 132،133، أنّ الدعوة الإسلامية أثرت في بلاد الموسي[2]، لأنّ ترك الجيش في مثل هذه الجهات كان يأخذ شكلا دينيا، وذلك عند صعود المؤذن، وينادي في النّاس ويحدّد مكان الفرقة أو التجمع، وتعتقد أنّ هدفا دينيا وروحيا يكمن وراء هذه المظاهر، ممّا يدفع النّاس إلى الدخول في الإسلام. وقد تقدّمت العقيدة الإسلامية بمدينة جني، والانتشار الإسلامي بشكل سريع، حيث ركّزت السيادة المغربية مجموعات من العلماء والفقهاء، لعبت دورا في شيوع التعاليم الإسلامية والعادات والمراسيم الدينية على وجهها الحقيقي[3].

كذلك فإنّ كثيرا من العادات والتقاليد والمراسيم المغربية الإسلامية، قد انتقلت إلى بلاد السودان وخاصة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، وختم القرآن الكريم وصحيح البخاري ومسلم في ليالي رمضان، وذبح أضحية عيد الأضحى، وترتيل المدائح النبوية ليلة القدر وقد اهتم الباشوات بهذه المظاهر الإسلامية والسلوكيات، التي تتلاءم مع التعاليم الإسلامية[4]. إضافة إلى تعيين القضاة، في كل مدينة، هذا الأخير يقوم بتعيين الأئمة بالمساجد، وهؤلاء تفرّغوا لخدمة الإسلام، لأنّ البلاد في حاجة لذلك؛ بعيدا عن الحكم والسياسة. ولم يتعرّض أحدا من المسؤولين، للفقهاء والعلماء، بعزلهم أو ظلمهم، إلاّ بعد وفاتهم، يتمّ تعيين غيرهم، لهذا نجد مدّة حكمهم طويلة؛ وهذا ما تبينه الأمثلة الآتية:

نأخذ مدينة تنبكت بما أنّها العاصمة كمثال للمدن الأخرى، التي ستأخذ نفس الصورة عنها، ولو بشكل قليل.

(1) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص227.

(2) الموسي: قبائل تتصل بمملكة سنغاي، يقومون بزراعة البذرة الرفيعة، ولا يمتلكون من الماشية إلا القليل، ويربون الخيل والحمير بكثرة، وهم وثنيون يقدّسون الأسلاف. وعبادة الشمس والقمر معروفة عند بعضهم، فيقومون أثناء السنة على النار المقدسة التي يبقونها مشتعلة من فتحة صغيرة بحائط الكوخ. ينظر، فيج جي دي، المرجع السابق، ص64.

(3) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 227، 228.

(4) نفسه، ص228.

أ ـ القضاة بمدينة تنبكت[1] (1591-1660م):

ـ محمد بن أحمد: أوّل القضاة، عينه الباشا ابن زرقون سنة 1593م، مكث 15 سنة.

ـ محمد بن إيد: ولاّه الباشا محمود لنك، مكث في القضاء 04 سنوات.

ـ سيّد بن أحمد إيد: ولاّه الباشا محمود لنك، مكث في القضاء 27 سنة.

ـ محمد بن محمد بن محمد كري: ولاّه الباشا عبد الرحمان، مكث في القضاء 17 سنة.

ـ عبد الرحمان بن الفقيه أحمد معيا: ولاّه الباشا أحمد، مكث في القضاء 09 سنوات[2].

ب ـ الأئمة بمدينة تنبكت(1591-1660م):

أئمة الجامع الكبير[3]:

ـ محمود بن الإمام صديق:كان إماما عادلا حليما صبورا تقيا فقيها، توفي سـنة1622م بعد أن مكث في الإمامة 26 سنة.

ـ عبد السلام بن محمد كد الفلاني: كان عالما تقيا إماما فاضـلا، تـوفي سـنة 1626م ومكث في الإمامة 04 سنوات.

ـ سيّد علي بن عبد الله: مكث في الإمامة 16 سنة، وتوفي سنة 1640م.

ـ محمد وديعة الله: مكث أكثر من10م سنوات.

أئمة مسجد سيد يحيى[4]:

ـ محمود بن محمد الونكري: كان إماما عالما عاملا عابدا صالحا، توفي سنة 1610م.

ـ أحمد بن سعيد: كان إماما فقيها ذا دين، توفي سنة 1630م.

ـ محمد بن أحمد: كان إماما فقيها صالحا عابدا زاهدا، توفي سنة1650م.

---

(1) السعدي، المصدر السابق، ص308.

(2) مجهول، تذكرة النسيان...، المصدر السابق، ص178.

(3) الجامع الكبير أو مسجد (جنكري بير): شيّده السلطان منسى موسى، ملك إمبراطورية مالي بع عودته من رحلة الحج وقد بناه المهندس الليبي عبد الله الكومي الغدامسي والمغربي أبو إسحاق الساحلي على الطراز المغربي الإسلامي في أوائل القرن08هـ/14م. ينظر، أحمد بابير الأرواني، المرجع السابق، ص 71،125.

(4) مسجد سيد يحيى: يقال أنّه أول مسجد بني بتنبكت، على يد سلطان مقشرن الطارقي، في القرن 05هـ/11م، تمّ تخريبه كاملا فيما بعد، ولم يجدّد إلاّ سنة 888هـ/القرن15م، وجعل سيد يحيى إماما به. ينظر، نفسه، ص 72،129،130.

أئمة مسجد سنكري[1]:

ـ عبد الرحمان بن الفقيه محمود بن عمر:كان عالما ووليا صالحا ناصحا عارفا بالله تعالى عابدا زاهدا ورعا واعظا معرضا عن الدنيا بالكلية، توفي سنة 1600م.

ـ محمد بن محمد كري: كان إماما عالما فقيها ورعا، غلب عليه الورع إلى أن توفي.

ـ سنتاعون الهادي الوداني: ولاه القاضي عبد الرحمان بن أحمد معيا، كان عالما عاملا بعلمه.

ج ـ بناء المساجد:

يعتبر المسجد رمزا رئيسيا لكل مدينة أهلها على الإسلام، لهذا فقد قامت الحكومة المغربية بالسودان ببناء بعض المساجد، وسنذكر ما علمناها من خلال مادّتنا المتواضعة.

مسجد الهناء: بناه الباشا علي بن عبد القادر سنة1628م، بمدينة تنبكت[2]. بعد أن مهّد البلاد، وأصطلح مع سلطان ماسينا. وفتح طريق المحبة مع أسكيا الجنوب بـ:دندي.

مسجد الأمين القائد عامر: الأمين القائد عامر بن الأمين القائد الحسن، ولاّه السلطان أبو فارس بن مولاي أحمد الذهبي، منذ سنة1605م ومكث في الأمانة 13 سنة، وفي مدّته بنى هذا المسجد[3].

ولحرصهم على نشر الإسلام، جعلوا بالمساجد مترجمين باللغة السنغائية[4]. علما أنّ القاضي هو الذي يعيّن الإمام بالمسجد.

بعد هذا يمكنا القول أنّه كان هناك محاولات عديدة من أجل انتشار وتجديد الإسلام بالمنطقة. وإذا ساعدت السيادة المغربية على انتشار الإسلام ببلاد السودان إلى حدّ ما فإنّها نجحت كلّ النجاح في مقاومة حركة التبشير المسيحي في بعض الجهات الإفريقية وخاصة الداخلية منها.

(1) أحمد بابير الأرواني، المرجع السابق، ص 131،132.
(2) السعدي، المصدر السابق، ص232.
(3) مجهول، تذكرة النسيان...، المصدر السابق، ص176.
(4) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص234.

3 ـ المآثر الثقافية الفكرية:

كان للإسلام الفضل الأكبر في نقل اللغة العربية ومختلف علوم الدين إلى أماكن كثيرة من السودان الغربي، حيث نجد الأستاذ محمد مزين، يتصوّر ثلاث مراحل عبرت خلالها الثقافة الإسلامية إلى المجتمعات السودانية؛ بداية بتعليم النّاس العبادات والمعاملات والسلوك الديني إلى غاية القرن 14م. تليها مرحلة ثانية امتازت بتوثيق العلاقات المغربية والمشرقية مع السودان، أدّت جهودها إلى إدخال الثقافة العربية والفنون العربية، وخلق مدرسة إسلامية سودانية، وبصفة خاصة في مجال علوم الدين، من فقه وحديث ومسائل ونوازل. والمرحلة الثالثة منذ أواخر القرن 16م، أو مرحلة السيادة المغربية ببلاد السودان النيجيري، التي وسعت المجالات السابقة وصقلتها(1).

ومن هنا عمل المغربيون على إرسال العديد من العلماء، ورجال الدّين والفقه والشريعة والمدرسين، والمساعدة على انتقالهم، وانتقال الكتب والمكتبات والورق والورّاقين(2). هذا الذي ساهم في تشجيع روح البحث العلمي، والتأليف في شتى المجالات، وتخرّج العديد من الطلبة على أيديهم"...وكثر قراؤها وأدباؤها من كوكي إلى جني..."(3).

أ ـ حركة التأليف وتنوّعها:

شهدت حركة التأليف والوراقة توسعا كبيرا، حيث انتشرت حوانيت الورّاقين بالقرب من المساجد ومراكز التعليم، خاصة قرب مسجد سنكري، التي تبيع الكتب المنسوخة والمخطوطة للطلبة ورجال العلم والدّين، وأغلبها تآليف جديدة متنوعة. حيث أنّه سرعان ما ينتهي المؤلف من إملاء كتابه، إلا وكان للورّاق عدّة نسخ للكتاب(4). وأصبح عهد الحكم المغربي ببلاد السودان، بداية للحركة العلمية الحقيقية، من حيث التأليف في مجالات متنوعة جديدة، على أيدي أبناء السودان منهم محمود كعت، وأحمد بابا، وعبد الرّحمان السعدي، وأخذت مؤلفاتهم طريقها للتدريس في جامعات المشرق والمغرب.

(1) محمد رزوق، مجلة البحوث التاريخية...، المرجع السابق، ص91.
(2) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص233.
(3) كعت، المصدر السابق، ص181.
(4) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص 234،235.

ولا نوافق رأي صاحب كتاب(الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا) أنّ "...الفتح المراكشي وما أعقبه من احتلال، وما صحبه من فوضى، لم يسئ للناحية الاقتصادية فحسب، بل أساء للناحية الثقافية. ما نكاد نقرأ ما كتبه مؤرخو السودان منذ القرن السادس عشر16م فصاعدا، حتى نحسب بأنّ احتلال المراكشيين لتنبكت، ولغيرها من المراكز الثقافية، لا يكاد يختلف من حيث آثاره ونتائجه عن غزو المغول لبغداد..."(1).

وإذا لم يعثر أستاذنا عبد القادر زبادية، خلال بحثه الطويل في المصادر على أيّ مؤلف قائم بذاته لعلماء السودان في عهد الأسكيين في مجالات الفقه والتفسير واللغة(2). وأنّه لا يوجد أي تأليف مستقلا ببلاد السودان، قبل الحكم المغربي ببلاد السودان. لهذا يمكن دراسة المؤلفات الآتية: تاريخ الفتّاش، تاريخ السودان، ونيل الابتهاج ـ وكلّها ألّفت ونسخت واشتهرت، أثناء السيادة المغربية ببلاد السودان ـ وتصنيفها ضمن مرحلة السيادة المغربية بالبلاد، وهي كالآتي:

ـ **محمود كعت:** ولد سنة 1468م، عاش خلال عهد الأسكيين، وتوفي سنة 1593م ألّف كتابه المعروف بـ:(تاريخ الفتّاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر النّاس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار). بدأ كتابته في سنة1519م/925هـ، بداية القرن القرن 16م/10هـ "...نزل في العام الخامس والعشرين بعد تسعمائة، ووافق قدومه إلينا حال بداية التأليف، ووصول القلم إلى هنا..."(3).

يبدوا أنّ الفضل في تأليف هذا الكتاب، وخلال فترة الحكم المغربي بالسودان، يرجع لحفيد محمود كعت، الذي استطاع أنّ يحقق ما كتبه جدّه، من خلال مصادر حديثة مثل كتاب درر الحسان في أخبار بعض ملوك السودان، ونيل الابتهاج ....، وكفاية المحتاج إضافة إلى معارف شخصية وأحداث معاصرة للحفيد، انتهى بها الكتاب.

(1) حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، دار الفكر العربي**، القاهرة، 2001م، ص217.
(2) عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص160.
يعود الفضل للأستاذ عبد القادر زبادية في اكتشاف وتحقيق أسئلة الأسكيا وأجوبة المغيلي.
(3) كعت، المصدر السابق، ص17.

إذن يتناول الكتاب فترة إمبراطورية سنغاي منذ سني علـــي1464م، مــرورا بفتــرة الأسكيين(1492-1591م)، ودرس 08 سنوات من الحكم المغربي بالسودان. أمّا أسلوبه فهو بسيط ومفهوم. وأحداث الكتاب أميل إلى الاجتماعية والاقتصادية.

ـ عبد الرّحمان السعدي: ولد سنة 1596م، عاش خلال فترة الحكـم المغربــي بــبلاد السودان، لم نجد تاريخا لوفاته، إلا أنّه كان حيّاً سنة 1655م. ألّــف هــو الآخــر كتابــا سمّاه(تاريخ السودان)؛ يتناول فترة الأسكيين، والجزء الأكبر منه يتحدّث عن فترة الحكــم المغربي، لهذا يعتبر أوفر المصادر على هذه الفترة الثانية. وأوفر معلومات مــن كتــاب تاريخ الفتّاش. أسلوبه في دراسة فترة الأسكيين بسيط مثل أسلوب صاحب تاريخ الفتّــاش غير أنّه يمتاز بالتعقيد وتفكك الأفكار خلال دراسة فترة الحكم المغربي؛ ربّما يرجع هــذا إلى معاصرة المؤلف للفترة ممّا يحتم عليه هذا التعقيد غير الواضح، إضافة إلى ذلــك أنّ جانب الدراسة أغلبه عسكري. إلا أنّ فترة تأليفه كانت خلال السيادة المغربية بالبلاد.

ـ أحمد بابا التنبكتي: سبق ذكره (ينظر قضية الفقهاء الفصل الثالث). ذكر أحمد بابا أنّــه أراد التأليف ببلاد السودان غير أن الظروف "...ببلدة بعيدة عن نيل المقــصد مــن ذلــك لبعدها عن مدن العلم، وكتب هذا الشأن......خال عن العلم وأدواته..."[1] ، لم تساعفه في مقصدته. غير أنّ نفيه إلى مراكش، ووجوده بها، وتوفر المادة العلمية بهــا، أتــاح لــه فرصة التأليف"...ولو لا فضل المولى ذي الفضل والإحسان، الذي يفتح على من يشاء من عباده، بما يشاء من أنواع الامتنان..."[2]. وزادت تآليفه عن 39 كتابا من أشهرها:

نيل الابتهاج بتطريز الديباج، وكفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج.

ويعتبر هذان الكتابان مصدران ومرجعان هامان؛ لسير العلماء والفقهاء، فهو قد ترجم لأعلام كثيرة من المغرب الإسلامي.

وقد أذن السلطان زيدان لآل أقيت، بالعودة إلى السودان، فكان وصولهم لتنبكت يــوم27 فيفري1608م/10ذي الحجة1016هـ[3]. فتصدّى بذلك أحمد بابــا للتــدريس والــوعظ

(1) أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، 2 ج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م ج1، ص 10،11.

(2) نفسه، ص11.

(3) السلاوي، المصدر السابق، ص135. والسعدي، المصدر السابق، ص 218.

والإرشاد والإفتاء، وتفرغ للتأليف أيضا. كما جدّد مكتبة تحتوي 700كتابا من مختلف العلم والفنون، كما خلف أيضا جيلا من التلاميذ الذين تثقفوا على يديه، منهم تلميذه عبد الرحمان السعدي[1]. يعني هذا أن نشاطه العلمي الحقيقي بدأ أثناء الحكم المغربي.

أمّا أسلوبه فهو متين وبليغ، على عكس السعدي وكعت، لكنّ هذا الفرق والتفوق في العلم كان أيضا قبل الحملة المغربية، كيف لا وهو وحيد زمانه بالسودان، أضف إلى ذلك نفي أحمد بابا بمراكش؛ أكسبه معرفة أكثر، ومكانة علمية مرموقة، وأعلى المراتب العلمية في الإفتاء، والإمامة بمسجد الشرفاء، أعظم مساجد مراكش[2]. وليس كما يرجعه بعض المؤرخين إلى تدهور الحياة الثقافية ببلاد السودان.

ب ــ التعليم:

أتيح التعليم لكل فئات المجتمع السوداني، بعدما كانت المدارس حكرا على أبناء العلماء أنفسهم، وعلى عدد قليل من الطلبة، يتفق القاضي عليهم من الوقف؛ بل أصبح التعليم مفتوحا أمام كل راغب في التعليم بكل أطواره سواء في الكتاتيب أو الجوامع أو المدارس أو حتى جامع سنكري. وتكفلت الإدارة المغربية بجميع نفقات وتكاليف مراحل التعليم المختلفة، وبالطلبة الغرباء والأساتذة وكثر قراؤها وأدباؤها. وتمّ تنظيم مراحل التعليم إلى تعليما ابتدائيا ومتوسطا ومتخصصا وأعطيت إجازات في بداية الحكم المغربي[3]. وفتحت مجالات وآفاق تمثلت في فنون أدبية أكثر عمقا وإشراقا وإبداعا كالفلسفة والمنطق والتاريخ وآداب الرحلات والشعر...، وكلّ العلوم الإنسانية[4].

---

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص206.

(2) البرتلي، المصدر السابق، ص34.

(3) عبد الفتاح الغنيمي، المرجع السابق، ص234.

(4) S. M. Cissoko, Tombouctou et..., op. cit, p218.

و محمد رزوق، المرجع السابق، ص91.

ج ـ العلماء[1]:

إنّ أعظم دليل على استمرارية الحياة الثقافية، هو وجود علماء من أبناء المنطقة مازال يذكرهم التاريخ خلال فترة الحكم المغربي؛ نذكر نماذج لذلك:

ـ عبد الرحمان بن حمد المجتهد: عالما فقيها محدثا سنيا، توفي سنة1606م.

ـ محمد الأمين بن القاضي محمد: عالما علامة فهامة درّاكة، توفي سنة1610م.

ـ عبد الرحمان بن السيد علي بن عبد الرحمان: عالما فقيها بلغ غاية في الفقه، له باع واسع في اللغة العربية، توفي سنة 1601م.

ـ بابا بن عمران: عمّ عبد الرحمان السعدي، عالما فقيها عاملا صالحا، توفي سنة 1633م.

ـ محمد بن أحمد القاضي محمد بن أبي بكر الونكري التنبكتي: عالما عاملا فقيها مدرسا مفتيا، وأنّ تلاميذته ألفان من كلّ قبيلة، كان حيّا سنة1630م.(نجد مبالغة في هذا العدد إلا أنه ينبئنا بازدهار الحياة العلمية وكثرة طلابها).

ـ سعيد بابا بن محمد الأمين بن حبيب الله: برع في العلم ودرس الفقه والنحو والحديث له عدّة مؤلفات منها: المنح الحميدة في شرح الفريدة، شرح شواهد الخزرجي، وله قصائد في المدح، توفي سنة1634م.محمد المختار المعروف بسيدي كم: عالما علامة فقيها، له باع واسع في العربية، توفي سنة1610م.

ـ إبراهيم بن أحمد بغيغ: من خيار العلماء الكبار، فقيها نحويا لغويا أصوليا، توفي سنة1638م.

وقد ترجم صاحب كتاب فتح الشكور لمعرفة علماء التكرور200 عالما، عاشوا بالمنطقة مابين(1650–1800م). فالأكيد إذن أنّه منذ بداية الحكم المغربي ببلاد السودان بدأ الحديث، عن علماء مختصين؛ إضافة لعلوم الشرع، يوجد بارعين في اللغة العربية(نحويا ولغويا)، والمنطق، والتاريخ. وظهرت الوظائف مثل كثرة المدرسين والأئمة والقضاة. وهذا ما دفع عجلة التأليف إلى الأمام منذ بداية الحكم المغربي.

---

(1) أحمد بابير الأرواني، المرجع السابق، ص 98-102. للمزيد ينظر، البرتلي، المصدر السابق.

4 ـ المآثر الاقتصادية:

تعرف بلاد السودان النيجيري حياة اقتصادية داخلية طبيعية، وملائمة للعيش. ويرجع هذا لوقوع أراضيه على حزام السافانا الملائم للزراعة وتربية الحيوانات. كما أن الطبيعة أنعمت عليها بمصادر المياه من الأمطار الكثيرة. فضلا عن خصوبة التربة، أنّها غنية بالمعادن الثمينة في مقدّمتها الذهب. وبنظرة أخرى لوقوعها على نهر النيجر، حيث كان للأنهار عبر التاريخ الدور الأعظم، لظهور مراكز حضارية.

وقد لعبت تجارة القوافل عبر الصحراء ـ التي اشتهرت بتجارة الذهب ـ خلال العصر الوسيط، دورا فعالا في ربط العلاقات بين الشمال الإفريقي والسودان النيجيري واستمرّ أثناء السيادة المغربية بالسودان في العصر الحديث، حتى قضى عليها وخرّبها الأوربيون نهائيا خلال القرن 19م[1]. فمازال المؤرخون يتحدّثون على نفس الزراعة والصناعة و ...، ونفس القوافل التجارية وتجارة الذهب، إلى غاية فترة الاستعمار الأوروبي. وهذا لا يمنع من وجود تنظيمات اقتصادية جديدة، توافق كلّ سيادة ببلاد السودان. فقد بلغت الحياة الاقتصادية خلال القرن 16م (حكم الأسكيين)، درجة واضحة المعالم. واستمرت أيضا خلال مرحلة السيادة المغربية ببلاد السودان النيجيري (1591-1660م)، بحيث نستطيع تسجيل بعض المآثر المغربية على الحياة الاقتصادية بالمنطقة أثناء هذه الفترة، وهي:

أ ـ الآثار الزراعية:

تمثلت في نقل بذور ومزروعات جديدة إلى السودان، بما في ذلك من الحوامض والبطيخ الأحمر والقمح الصلب والتبغ وقصب السكر، إضافة إلى تحسين المزروعات الموجودة من قبل، عن طريق تنظيم الدورة النباتية، واختيار الأماكن الصالحة لكل نبتة واستخدام السماد الحيوي المركب[2]. وقد ساعدت الظروف الطبيعية في النشاط الزراعي حيث "...أكثر الله الغيث وأنبت الزروع وحصدوا منها كثيرا..."[3].

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص42.
(2) محمد رزوق، الرجع السابق، ص90.
(3) كعت، المصدر السابق، ص181.

وقد وقع البحر(فيضان نهر النيجر) في عدّة سنوات منها: 1602م، 1603م 1604م، 1615، 1616م، 1618م 1629م، 1653م[1]. ممّا أضفى خصوبة على التربة وغطاء نباتي معتبر؛ انعكس على زيادة الإنتاج الزراعي. ووجود ثروة حيوانية وسمكية هائلة، من ماشية وغزال وفيلة وأبقار...إلخ"...أفاض الله البركة في برّها وبحرها...وأكثر الله الحيتان في البحور ويتصيّد فيها الصيّادون ما لا يحصى من الحيتان..."[2].

وتنظيما لهذا المجال الزراعي، نجد اهتماما بالأعمال في ميدان الريّ وشقّ القنوات وتحويل روافد نهر النيجر، أنجزها المغربيون، ولم تمر على حملتهم على بلاد السودان النيجيري، سوى بضعة شهور"...نيل السودان فإنّ...محمود باشا أخذ في إنشاء نهر اجتلبه من غمره وأقتطفه من تياره ويمكن ذلك من غير موضع منه..." [3].

ب ـ الآثار الصناعية:

لم تعرف الصناعة تغييرا واضح المعالم أثناء الحكم المغربي بالسودان، غير أنّه يكون للأعداد الكبيرة من الصنّاع المهرة، الذين رافقوا الباشا جودر أثناء حملة 1591م أو الذين توافدوا بعد ذلك، أثرا محمودا في خلق صناعات جديدة، وتحسين الصناعات الموجودة قبل وصولهم لبلاد السودان.

ج ـ الآثار التجارية ومعدن الذهب:

أصبحت لدينا الآن فكرة واضحة عن استمرار التجارة الصحراوية، مادام المؤرّخون يتحدّثون عن طرق القوافل، وبضائعها، ومشاكلها، وأسواقها...إلخ، أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين(18 و19م)[4]، وظلّت قائمة، بل زادت قيمتها خلال القرن 19م ولم يبدأ التدهور النهائي إلاّ بعد سنة 1875م[5].

---

(1) السعدي، المصدر السابق، ص 215، 217، 221، 222، 223، 268، 315.

(2) كعت، المصدر السابق، ص181.

(3) الفشتالي، المصدر السابق، ص 167. ينظر، محمد رزوق، المرجع السابق، ص90.

(4) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 41-62.

(5) أ. ج. هوبكنز، **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1998م، ص159.

ـ إحصائيات لما وصل السلطان من بلاد السودان:

أصدر السلطان أحمد المنصور أوامره منذ البداية لقائده جودر باشا"...بمـلاك أمـر معادن الذهب الثلاثة، التي اكتنفتها هذه الممالك، وأمره بالبناء عليها، واختطاط الحـصون الجاثمة عليها، وترتيب الجيش فيها لحياطتها..."[1]. باعتبار حكم الشرع فيهـا، يقـضي بملكية السلطان لها وتنظيمها. لهذا قمنا بإحصائيات لما وصل للسلطان من بلاد الـسودان من خلال المادّة التي بين أيدينا، حيث تمكنا من إنجاز الجدول الآتي:

ترتيب الدفعة زمنيا	السنـــة	الكميـــة
01	بعثها الباشا جودر 1591م	10000 مثقال ذهب =47 كلغ ذهـب + 200 عبيد[2]
02	الباشا ابن زرقون	40 حملا من التبر+ 04 سـروج مـن الذهب الخالص+ كميـة مـن العـاج + 1200 عبيد[3]
03	الباشا ابن زرقون 1594م	30 بغـلا محملـة بالـذهب[4] = 100000مثقال = 470 كلغ[5]
05	الأمين القائـد الحـسن بـن الزبير 1597م	عاد إلى مراكش بمال عظيم، يمثّل خراج الأرض لمدّ ثلاث سنوات[6].
06	الباشا جودر سنة 1599م	10000 عبد + 10000 جاريـة + 04 فيلة[7]

جدول إحصائيات لما وصل السلطان من بلاد السودان

استنادا للمادة المتوفرة لدينا بتصرف

(1) الفشتالي، المصدر السابق، ص165.

(2) الوفراني، المصدر السابق، ص94. والفشتالي، المصدر السابق، ص147.

(3) مجهول، تاريخ الدولة السعدية...، المصدر السابق، ص70. والوفراني، المصدر السابق، ص97.

(4) أحمد شلبي، المرجع السابق، ص275.

(5) السعدي، المصدر السابق، ص174.و J. Ki-zerbo, op. cit, p200.

(6) السعدي، المصدر السابق، ص178.

(7) عمّار بن خررف، المرجع السابق، ص134.

وفي هذا الصياغ ومن الإحصائيات المكملة للجدول، ذكر المجهول صاحب تاريخ الدولة السعدية، أنّ جباية السودان تصل إلى مراكش كل سنة، إلى أن أتت الفيلة سنة 1599م، عند عودة الباشا جودر.

ـ **تعليق على الجدول:** من خلال دراسة نقدية للجدول يمكن أن نتوصل إلى:

ـ توقفت الجباية السنوية، إلى مراكش سنة1599م، أو على الأكثر سنة1612م.

ـ وجود حراسة مشدّدة عبر الطرق الصحراوية، لحماية هذه القوافل المحملة بالتبر، ممّا وفّر الأمن للقوافل التجارية التي تتنقل بين الشمال والجنوب، على الأقل خلال فترة المنصور الذهبي(وفاته سنة1603م). وبدأ الحديث على قوافل تضم آلاف الجمال تقطع الصحراء بين الجهتين.

ـ أنّ الصحراء كان لها الأثر في تجارة الرقيق(يتطلّب الدراسة الدقيقة).

ـ نستطيع القول أنّ الباشا جودر تمكن من الاستيلاء على مناجم الذهب.

ـ **التنظيمات التجارية:**

وصل إلى مراكش من التبر ما يغير الحاسدين ويحيّر الناظرين ـ صرّح بعض التجار الأوروبيين على الساحل الغربي الإفريقي لدولهم بذلك الحسد والمنافسة بقولهم: "... بدلا من ترك الخيرات للمنصور..."(ينظر الفصل الأول) ـ حتى كان لا يعطي في الرواتب إلا النظار الصافي والدينار الوافي"...وكان ببابه كلّ يوم أربعة عشر مائة مطرقة تضرب الدينار دون ما هو معدّ لغير ذلك من صوغ الأقراط والحلي وشبه ذلك..."[1]. مع العلم أنّ ذهب السودان لم يكن كلّة يذهب إلى خزائن السلطان، بل كان جزء كبير منه يدخل دار السكة في تنبكت، ويضرب مثاقيل ودنانير، لا تشبه مثيلاتها بالشمال[2]. وهذا التنظيم لمعدن الذهب نتج عنه آثار تجارية نذكر منها مايلي:

---

(1) الوفراني، المصدر السابق، ص95.

(2) محمد رزوق، المرجع السابق، ص89.

ـ تحوّل المعاملات بالجملة عن المقايضة إلى التعامل النقدي وهو ما يؤثر بكيفية ملموسة على النمو الاقتصادي بالسودان.

ـ عرفت عملية نظم التعامل التجاري من استثمار ونقل وبيع تبديلا جوهريا"... ورخص الطعام من كل جانب ومكان...... وبلغ صرف المثقال ثلاثة آلاف ودعا ورخص سلع الغرب..."[1]، وقد أورد كعت هذا المثال للدلالة على توفر الخيرات وانخفاض أسعارها مع ارتفاع قيمة الذهب، التي يقابلها انخفاض في قيمة الملح"...وبيعة الكملية من الملح بستة مثاقيل إلى سبعة مثاقيل غير ثلث المثقال..."[2]. وهذا راجع لكثرة القوافل التي تجلب الملح بكميات كبيرة، أدّت للتقليل من سعره.

ـ حسب محمد مزين أنّ إدخال الموازين، والمعايير، والمكاييل، والمقاييس إلى السودان على يد المغاربة، قد أدّى ذلك إلى: وحدة المعايير السودانية، وخضوعها جميعا للدقة المطلوبة في ميدان التجارة والمعاملات الأخرى، وإلى كبح الغش والتدليس، وإسقاط الوساطات والمزايدات، التي كانت إحدى عيوب التجارة السودانية القديمة[3].

ـ تنظيم الأسواق المحلية على شاكلة ما كان يوجد في المغرب شمالا. فبينما كانت الأسواق تعقد كلّما قدمت قافلة أو همّت بالتوجه إلى الشمال، وكانت الأسواق الصغرى عبارة عن اتصالات بين القبائل للمقايضة. أصبحت هناك أسواق يومية في كلّ المدن الكبرى، وأسواق أسبوعية في القرى، تعقد فيها البيوع على أساس التعامل النقدي، بضمانة أكيدة وموثوقة من بيت المال بـ:تنبكت[4].

(1) كعت، المصدر السابق، ص183.

(2) نفسه.

(3) محمد مزين، المرجع السابق، ص102.

(4) محمد رزوق، المرجع السابق، ص90.

5 ـ السودان النيجيري في الفترة (1660-1893م):

نحاول في هذا المبحث إعطاء ملخص لهذه الفترة، ليتضح رأينا في المرحلة الأولى:
حدث منذ سنة1660م تغيرات عديدة، وخلال هذه الفترة، ممّا يجعل هذه تقسّم إلى عدّة مواضيع، ولا يمكن حصرها بالدراسة على الحكم المغربي فقط؛ فهي في نظرنا مرحلة ثانية من العصر الحديث بالمنطقة، وأنّ كل مرحلة لها خصائص وتأثيرات على المنطقة وهي كالآتي:

أ ـ تنبكت و الأرماArmas:

ـ ظهور سلالة جديدة تسمى Armas الأرما(سلالة هجينة نتيجة زواج الجيش المغربي بالسودانيات)، غلبت عليها اللهجة السنغائية؛ قطعت صلة السيادة بالمغرب الأقصى منذ سنة 1660م. والذي توافق أيضا مع نهاية الدولة السعدية.

ـ الأرما Armas اقتصر حكمهم على مدينة تنبكت وضواحيها القريبة جدّا في الفترة مابين(1660-1780م)[1]، ثمّ غلب عنهم الطوارق والبرابيش، إلى غاية الاستعمار الفرنسي1893م.

في هذه الحالة، نحن أمام سلالة جديدة هجينة بالسودان، حافظت على نظام حكم الباشوات، واستمرت في الحفاظ على تنبكت وإسلامها. ولا يمكن تسمية هذه الفترة من تاريخ تنبكت، بفترة الحكم المغربي.

ب ـ مملكة البامبارا في سيغو(1660-1861م)

شكل شعب البامبارا منذ 1660م، دولة وثنية كبيرة جيدة التنظيم، تحتل الضفة الغربية لنهر النيجر، من واد باني جنوب مدينة كانجا غربا، إلى مدينة تنبكت وتمتد أطرافها الشمالية إلى الصحراء[2]. وقد دخلت المناطق التي كانت تحت حكم السعديين في نفوذ دولة (بامانا) أو البامباراب: سيغو منذ عام 1670م. وتدفع تنبكت الجزية لها[3].

---

(1) عبد القادر زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوروبي...، المرجع السابق، ص158.

(2) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص163.

(3) M. Delafosse, op. cit, p263. و.عبد القادر زبادية، المرجع السابق، ص158.

ج ـ مملكة كارتا(1670-1854م):

نشب خلاف داخل قبائل البامبارا، حيث رفض قسم منهم الاعتراف بملك سيغو فهاجروا إلى الشمال الغربي وأسسوا مملكة كارتا سنة1670م، وهي تحيط بمملكة سيغو غربا وتحتل المناطق الواقعة بين الصحراء وحوض السنغال الأعلى[1].

د ـ تحولات القبائل (الفولان والطوارق والبرابيش):

حدثت خلال هذه الفترة عدّة هجرات، تحت الضغوطات الوثنية، وبما أنّ الضفة الغربية تسيطر عليها مملكة سيغو الوثنية، فكان معظم الهجرات من الشمال والغرب نحو الجنوب الشرق، فكانت مدينة غاو على الضفة الشرقية لنهر النيجر، وجهة ومقرا لهجرات الطوارق والبرابيش حيث احتلوها سنة1770م[2].

في حين شكلت هجرات قبائل الفولان نحو الجنوب الشرقي، عدّة عثمان دان فودي في الحركة الإسلامية الكبرى بداية القرن19م[3]، حيث تمّ تأسيس إمبراطورية سوكوتو الإسلامية سنة 1804م.

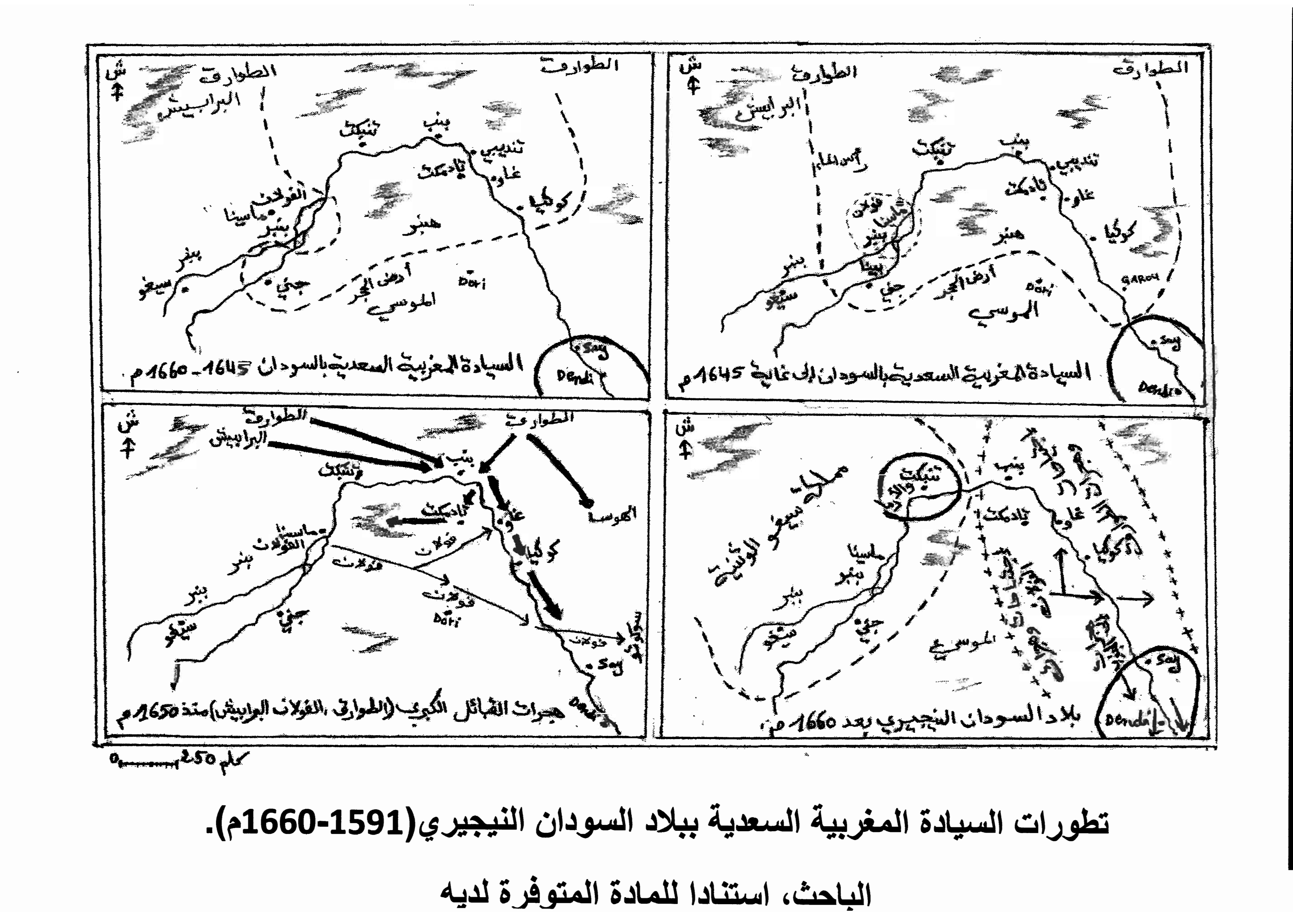
أمّا من الناحية الاقتصادية لهذه الفترة، والعلاقات التجارية بين الشمال والجنوب، فقد استمر التعامل التجاري مع بلاد السودان النيجيري، غير أن التجارة ضعفت مع المغرب الأقصى نسبيا، في الوقت الذي ازدهرت فيه مع طرابلس خلال القرنين 18 و19م.

---

(1) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص163.

(2) Pierre Donaint et François Lancrenon, **Le Niger**, paris, 1972, p47.

(3) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص219.



تطورات السيادة المغربية السعدية ببلاد السودان النيجيري(1591-1660م).

الباحث، استنادا للمادة المتوفرة لديه

خلاصــــة:

حسب المعطيات المتوفرة لدينا، فقد توصلنا إلى عـــدد مـــن الاســـتنتاجات والنتـــائج والرؤى، نذكرها كالآتي:

ـ كانت مدينة تنبكت الإسلامية أواخر القرن 16م، أهم المراكز بإمبراطوريـــة ســـنغاي تحيط بها مجموعة من الممالك والمراكز، التي طغت عنها الوثنية منها غاو وجني. وقـــد حافظت تنبكت على إسلامها نتيجة لكثرة التواجد المغربي سابقا بها.

ـ بعد هذه الدراسة أصبح الاعتراف بضعف إمبراطورية سنغاي، وتدهورها في أواخـــر القرن 16م من المسلّمات التاريخية.

ـ لم تكن مناجم ملح تغاز، هي السبب الرئيسي للحملة. وإنّما هي فكرة دينية نابعـــة مـــن إشكالية الخلافة وأمير المؤمنين، لهذا فإنّ الحملة المغربية، حملة جهادية في نظر السلطان أحمد المنصور والدولة السعدية، لهذا وجدناه يتبع في تنظيم حملته خطوات جهادية.

ـ لا نستطيع الحكم على هذه الحملة، بأنّها جهادية، إلاّ بعد مطالعات عديـــدة، واستـــشارة علماء الدين الإسلامي، في قضية خلافة الدولة السعدية ومنافستها للخلافة العثمانية.

ـ بعدما كانت بلاد السودان النيجيري مهيأة بظروفها لقابلية الاستعمار، استعدت الحملـــة المغربية للتوجه نحو بلاد السودان، ففوّتت الفرصة على الأوروبيين.

ـ سجلنا رضى بعض السودانيين عن الحملة، وأنّها كانت نتاج حالـــة مـــن الفوضـــى، وتراجع الإسلام بالمنطقة.

ـ حاليا لا نوافق الرأي، الذي يصنّف الحملة المغربية في خانة الحمـــلات الاســـتعمارية. لهذا على الأقل يتمّ تصنيفها كحملة إنقاذية للبلاد، خاصـــة إذا علمنـــا التوافـــق العربـــي والإسلامي بينهما، على عكس لو كانت السبّاقة لذلك حملة أوروبية.

ـ إنّ **الحياة السياسية** ببلاد السودان النيجيري خلال الحكـــم المغربـــي، مزجـــت بـــين السودانية والمغربية، وتمّ إلحاق بلاد السودان النيجيـــري بالـــسيادة الـــسعدية بـــالمغرب الأقصى، طوال سبعين سنة(1591-1660م).

ـ نهاية إمبراطورية سنغاي منذ سنة الحملة المغربية1591م. نتج عنـــه نهايـــة عـــصر الإمبراطوريات الكبرى(غانا، مالي، سنغاي) بالسودان الغربي.

ـ لم تعمل السيادة المغربية السعدية ببلاد السودان النيجيري على محو أو طمس شخصية الفرد السوداني، لهذا تركت إدارته القديمة، وعملت على إحيائها بتعيين الأسكيا ووزراءه.

ـ وجدنا أنّ قضية قبض الفقهاء، ليست بذلك الحجم الكبيـــر، الـــذي يحـــتج بـــه بعـــض المؤرخين للحكم على الوجود المغربي بأنّه تخريب واستعمار.

ـ نهاية الحكم المغربي ببلاد الـــسودان النيجيـــري ســـنة1660م، مـــع ظهـــور الأرمـــا Armas كسلالة جديدة قطعت صلة السيادة والتبعية للمغرب الأقصى، وحكمـــت تنبكـــت بنفس النظام(حكم الباشوات).

من هذا نجد أن الإدارة المغربية لم تفرض نفسها بالقوة على السودانيين، ولـــم تحـــاول طمس الأنظمة القديمة، بل سيّروا البلاد حسب الفريقين، واستطاعوا المزج بين النظـــامين كما امتزجوا اجتماعيا أيضا في سلالة جديدة فيما بعد.

ـ أمّا **الحياة العسكرية**، فقد عرفت عدّة تمرّدات مدفوعة بنزعـــة وثنيـــة، ضـــدّ الحكـــم المغربي بالمنطقة. وتحوّل الأسلحة من البسيطة إلى الأسلحة النارية.

ـ وقد عرفت البلاد نوع من التفكك، وهي الميزة التي كان يعيـــشها الـــشمال الإفريقـــي خاصة، والعالم الإسلامي عامة.

ـ كما نسجّل تحولات القبائل الكبرى؛ الطوارق والبرابيش والفولان في أواخـــر الـــسيادة السعدية بالبلاد منذ سنة 1650م وهجرتهم في كلّ الاتجاهات من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، نتيجة للضربات الوثنية.

هكذا عرفت بلاد السودان النيجيري في ظل الحكم المغربـــي، تغيـــرات وتنظيمـــات عسكري مماثلة للعالم الخارجي في النوعية والتنظيم.

ـ مهما يكن فقد وجدنا تحولا على **ذهنية الفرد السوداني** منها:

ـ نشاط الحركة الفكرية وتطورها إلى التأليف المنظم في مؤلّفات عامة وخاصة. ســـاعد الفرد السوداني على كتابة تاريخ بلاده وتخصيص أفكاره.

ـ وأكبر أثر إيجابي وجدناه هو: التغيير والارتقاء بالذهنية الاقتصادية للفرد السوداني حيث عرف قيمة خيرات بلاده، وأصبح يفرّق بين الثمين والرخيص، بين الذهب والملح هذه الذهنية الجديدة للفرد السوداني، هي التي تفسّر لنا نقص توافد القوافل التجارية، التي كانت في معظمها تأتي لأخذ الذهب.

هكذا لم تعرف منطقة السودان النيجيري تغييرا حادا، فقد ظلّت التجارة عبر الصحراء قائمة، بل عرفت ازدهارا، وارتفعت قيمتها خلال القرن19م. ومازال يتعامل ثقافيا وتجاريا مع الشمال الإفريقي، بعيدا عن التأثيرات الخارجية الأوروبية على السواحل الغربية للقارة الإفريقية.

إذن الحملة المغربية السعدية، لم تكن كما يخيّل للغرب ومن تبعهم، أنّها نهب لخيرات بلاد السودان، كما وصفوا قبل ذلك حملة المرابطين1054م، بقولهم"...إنّ دخول المرابطين إلى منطقة السودان الغربي ومحاولتهم إسقاط غانا، كان سببه الذهب الأصفر..."[1]، وفي مقارنة بين الحملتين، نجد أنّ الحملة المغربية السعدية في نظرهم"...لم تكن غزوة طويلة الأمد، كانت أشبه بغارات المرابطين قبل خمسة قرون مضت، وشبيهة بها في الذي أحدثته من تدمير وخراب..."[2].

فإذا شبّهوا الحملة المغربية السعدية بحملة المرابطين، فقد حكموا عن غير قصد بارتقاء الحملة المغربية السعدية إلى مصاف الحملات الجهادية. بحكم أنّ حملة المرابطين حركة جهادية، لا نزاع فيها، أقرّها علماء الإسلام قبل مؤرّخيهم.

وللاحتجاج على الآراء المعادية للسيادة المغربية السعدية ببلاد السودان، نتساءل على لو كان صاحب الحملة على بلاد السودان هم الأوروبيين؟ـ كانوا يرغبون في ذلك فسبقتهم الدولة السعدية إليها ـ ألا نحمّل الدولة الإسلامية القوية والقريبة منها خاصة والعالم الإسلامي عامة، مسؤولية الدّفاع عنها وإنقاذها، بإعلان الجهاد؟؟.

---

(1) نقلا عن المبروك الدالي، المرجع السابق، ص45.

(2) بازل دافيدسن، **إفريقيا تحت أضواء جديدة**، ترجمة جمال أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون تاريخ، ص161.

وختاما لجملة آرائنا، فإنّنا نحجم حاليا عن وصف الحملة المغربية السعدية وسـيادتها الحقيقية على بلاد السودان، بالحملة الجهادية. إلاّ أنّنا نقرّ بـ: قابلية الحملة المغربية على بلاد السودان النيجيري، وأنّها جاءت في الوقت المناسب، حيث كانـت مخالـب الغـرب تتربّص للانقضاض على بلاد السودان الضعيفة آنذاك، هكذا فإن كانـت بـلاد السـودان مرتدّة عن الإسلام فيجب تطويعها، وإن كانت إسلامية فيجب إنقاذها.

وعلى أيّة حال فإنّ هذه الدراسة، لا ندّعي بها الإحاطة والإلمام بالموضـوع وإنّمـا تتطلّب الاستزادة، ونحن مقتنعين باستمرارية البحث، لاكتشاف وثـائق أخـرى، توضّـح الجوانب الغامضة، وتستكمل الناقص، وتصحّح المعلومات الخاطئة، وتؤكّد الصحيح، وإذا كان لها هدف أسمى، فهو إلقاء الضوء على جوانب عديدة عن موضوع **السيادة المغربية السعدية بالبلاد السودانية**، وهذا قصد التوصّل إلى إزالة بعض من الغموض الذي يكتنف تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

والله أرجوا، وعليه أعتمد أن ييسّر ما قصدت، ويذلّل ما أردت، فإنّه إن لـم ييـسّره فلا سبيل إلى حصوله، وإن لم يعن عليه، فلا طريق إلى نيل العبد مأمولـه. وأسـأل الله المغفرة عمّا وقع من تقصير، وأستمدّ منه العون، فهو وحده المستعان.

والحمد لله أوّلا وآخرا، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

الملاحـــق

أولا: الرســـائل

- الملحق1 رسالة أحمد المنصور الذهبي إلى الأسكيا إسحاق الثاني
- الملحق2 بعض الفصول من رسائل أحمد المنصور، يدعو فيها الأسكيا للطاعة والولاء.
- الملحق3 رسالة مولاي أحمد المنصور إلى الشرفاء، وإلى القضاة، وإلى كل وجهاء فاس.

ثانيا: الخرائـــط (تم إدراجها في المتن)

- خريطة1 خط سير الجيش المغربي سنة 1591م(ص46)
- خريطة2 السيطرة المراكشية بالسودان(ص64)
- خريطة3 الغزو المراكشي 1591–1600م(ص81)
- خريطة4 حوض النيجر(ص88)
- خريطة5 سنغاي في 1660م(ص93)
- خريطة6 تطورات السيادة المغربية السعدية بالبلاد السودانية(1591–1660م) (ص114)

(أربعة خرائط توضيحية لرؤية الباحث لتطورات موضوع الدراسة).

الملحق:1

رسالة أحمد المنصور الذهبي إلى الأسكيا إسحاق الثاني:

من إنشاء كاتب الدولة السعدية أبو فارس الفشتالي

إلى رئيس كاغو وكبيرها والقائم بأمرها وتدبيرها إسحاق سكيه بن داوود وصل الله لكم أسباب هدايته وتوفيقه وجعلكم ممن انتمى إلى حزب هذا الجناب النبوي الكريم وفريقه سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أمّا بعد حمدا لله الذي صرف لهذه الإمامة النبوية الكريمة وارثة الأرض ومن عليها وجعل زمام الأمة بيدها والنظر فيما لهم وعليهم موكولا إليها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المبعوث من أطيب المعادن وأشرف من تنصرف إليه الوجوه من كل ظاعن وقاطن والرضى عن آله الأئمة الأعلام خلفاء الإسلام وأصحابه الذين عزروه ونصروه بالسنان والحسام وصلة الدعاء لهذا المقام العلى المامي النبوي المنصوري الأحمدي الحسني الفاطمي بنصر تدور به الأفلاك وتستنزل به الملائك وتخضع له الأملاك.

فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية وكرسي إيالتنا العلوية ومقر إمامتنا الهاشمية الحسنية مراكش حاطها الله ونعم الله على هذا المقام المنصور ضافية السربال وافية السيال والاعتناء بحفظ نظام الدين وتشييد قواعده من كاسه العنوق والاصطباح والاهتمام بمصالح الأمة المحمدية مستغرق فيها المساء والإصباح وإرسال سوابق الفكر في تتبع المصالح التي تتعلق بها أعلام التوحيد على أهل التثليث هو الديدن في الغد والرواح كل ذلك علم الله لنقدم في هذا الدين المحمدي المقام الشريف ونبرا على أكمل الوجوه من عهدة التكليف فقد نيطت بنا التكاليف الشرعية التي لم تنط بغيرنا أي مناط وارتبطت بنا أي ارتباط ولا مطمع في التقصي من رقبتها والانفلات من عهدتها إلا بموصلة الجد في السالمات والأنا وأعمال الحزم والعزم وترك الهوينا ومتى يقع الخلاص من أعباء عرض حملها على السموات والأرض فأبت ووعدها بالثواب عليها خالق العالم فتابت فإليه سبحانه نمد أكف الضراعة في تيسير الخلاص من هذه الأثقال ومنه نستمد الأمانة التي بها تنال الأمال وغير خفي على من ذاق حلاوة الإيمان وخالطه بشاشته قلبه وألقى إلى هواتف الشريعة كتابا وسنة سمعه ولبه.

إننا بهذه الأثقال دون غيرنا مطالبون وبأعبائنا مضطلعون إذ الناس في هذا الأمر تبع ونحن المتبعون وأن طاعة هذا الأمر الذي تقلدنا قلادته مفروضة على أهل الأرض وواجبة على كل من أحاط من أسياج المعمور على الطول والعرض لما اختصنا الله به من إمامة الجماعة التي أوتيتها حكم الولاء والكفالة ووراثة الأرض ومن عليها لا عن كلالة وقلدنا من حماية بيضة الإسلام والذب عن أمة نبيه عليه السلام وأنى لمن بهذه المنزلة أن تطرق أجفانه سمة إغتماض أو يتأتى له عن رعى المصالح الخاصة والعامة. وصدود أو اعراض عدو الدين إلى شق عصى الإسلام وإفساد بيضته على طول المدى فاغرفاه معمور الفكر والبال فارغ مما سواه ولهذا ومن أجله لم تزل بحمد الله سهام أنضارنا السديدة إلى أهداف مصالح الأمة المحمدية مفوقة وأرونا ولا كفران لله بحوله وقوته إلى صوب الصواب موفقة نعثر منها على ما جر عليه قبل الأيام ذيل الأغفال فأسدل دونها رواق الإهمال وكلما أثرنا من مهامه الفيح قنصا وقعنا به على مهارق الأعلام والتعريف لكم ولغيركم ممن أوجب الله عليه الإنصات لأمرانا قصصا لتلبى في الأقطار والآفاق دعوتنا إليه المطاعة وتعطى إشارتنا به على الأنام ما يجب لها من الشهرة المقرونة بامتثال والإذاعة ويشتدّ به أزر هذه العصابة الإسلامية وهذه الجماعة ويحصل لها به بعد سبر غوره الفرح والاغتباط ولنا إن شاء الله أجر الإشارة به عليها والاستنباط هذا

وأن مما وقف بنا علية بعد استخارة الله زائد الاختيار وسبرنا غوره من سديد النظر بمسبار وما تعاضدت شواهد الشرع على اعتباره وإباحة إجتناء ثماره وأنه من القلادة التي طوقتنا دلائل الكتاب والسنة طوقها وأسالت أرواح الإذن الإلهي من سماء التمكين على أكناف ودقها.

وأوجبت عليكم خصوصا وعلى الناس عموما تلبية مناديها وإنهاء التعريف بالقبول لها إلى شريف نادينا وذلك هذه الملاح المعدنية التي تضرب إليها أكباد الإبل وتشد بسببها لبلاد تغازى على الدوام الإقتاب والرحال وتعمل المطى إليها الوخد والإرقال وتشق البيد نحوها بأحمال الثقال قد انطوى على مصلحة لهذا الجيش الإسلامي والأسطول الجهادي الذي جعل المولى سبحانه بأيدينا زمامه وصرف بفضله إلى إحياء دينه ضعنه ومقامه وشرق من أجله طاغية التثليث بريقه وضاق متسع الفضاء فرقا به وبحزبه وفريقه لا يصلح في قانون الشرع أن تقابل بالإهمال ولا يرى من عهدته إلا البدار إليها والإعمال لما فيها من الإعانة لهذه الجيوش الإسلامية والعساكر المظفرة بالله الهاشمية الإمامية وتقوية هذه العصابة النبوية التي بها يقع الدفاع عن الملة ويحمى حماها بسيوفها المستلة وصرفها في إقامة أسطول الجهاد وفيه اعتدناه للرباط في ذات الله من الصافنات الجياد مع ما فيها للأمة المحمدية من المنفعة التي إن ضيعناها توقعنا في ما ولانا الله من أمرها تقصيرا وزجرا بارتكابها وانتهاز الفرصة فيها من عظيم فضله أجرا كبيرا وذلك بأن وظفنا زنة مثقال تبرا على كل حمل من الجمال التي تغشى هذه الملاح للحمل على طول المدى وألزمناهم ذلك ما أعقب غدا بحيث لا يوسق رحل إلا بعد إعطائه ونقده ومن تاب فليتيقين بصده عن حملها ووروده.

وها نحن قد أنفذنا إليكم بما لأئمة المذهب في هذه المسألة على الخصوص وما لعلماء السنة فيها من الحجج والنصوص والبراهين المحكمة كالبنيان المرصوص لتعلموا أن الإمام فيها النظر والاجتهاد وصرفها فيما يراه من وجود السداد وبخاصة في إقامة فريضة الجهاد وتستشعروا مالكم في امتثال ذلك من السعادة التي تجدونها ذخرا والفلاح الذي تفوزون بليله إن شاء الله دنيا وأخرى وعرفناكم بهذا لتكونوا أول من ثنى إليه أعناق الرجال وأول من أحرى الاستماع إليه والامتثال ومن شممتم منه رائحة الانحراف عن هذا الأمر العلى والازورار فقوموا اعوجاجه بثقاف الإلجاء إليه والاضطرار فانتم أحق الناس والحمد لله بحشر الناس لهذا الباب وما يذكر إلا أولي الألباب، انتهى[1].

ثم اعلم ان أخاكم الذي قد نزل بنا واستجار بحرمنا الكريم النبوي وأم إلى هذا الجناب العلي العلوي قد وصل إلى حضرتنا المراكشية وأناخ منها على أبوابنا الشريفة وعتباتنا السامية المنيفة وكتب لمقامنا العلي من هناك لأول وصوله ومناخه ونزوله وها كتابه يصلكم طي هذا المكتوب الكريم لتتأمله وتقف على ما قصده من جنابنا العلي وأمله.

وها نحن أمهلناه في الجواب وعاملناه بما نعامل به كل من يرد على مقامنا العلي من القبول والبر والترحاب حتى نرى إن شاء الله ما يبدوا منكم ويصل في أمره عنكم وبهذا وجب الكتب إليكم والله يرشدكم بمنه والسلام[2].

---

(1) الفشتالي، المصدر السابق، ص 123- 125.

(2) كنون، المرجع السابق، ص 135،136.

الملحق:2

بعض الفصول من رسائل أحمد المنصور، يدعو فيها الأسكيا للطاعة والولاء(1)

...هذا وإن نبينا عليه السلام لمّا إبتعثه الله تعالى بهذه الحنيفية السمحاء وأرسله بالحق إلى الخاصة والدهماء كان من الشرائع التي سنها صلى الله عليه وسلم وفرضها الأعذار بالكتب من قبل الكتائب والترغيب من قبل الترهيب باصطكاك الركائب قال تعالى فيما انزله على نبينا عليه السلام(فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى) وقال عليه السلام(يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) ونحن بحمد الله في هذا وغيره للسنة متبعون وبكتاب الله عاملون لا نوقع قبل وعيد ولا نزمع إلا بعد إعذار نبدي فيه ونعيد فمن وفقه الله إلى سبيل الرشاد وجنح للتي هي أحسن في الحال والمعاد يتفيأ من أمان الله ورعايته ظلا ظليلا ومددنا عليه وعلى بلاده جناحا مستطيلا لا يروعه رائع ولا تشير إلى جهته الوقائع ولا تثير الغبار في وجهه الطلائع ومن أضله الله تعالى ودام على الاستعصاء أمره وألتهب بوقود الغواية جمره جهزنا نحوه من جنود الله تعالى كتائب كالليل البهيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم تزأر زئير الضراغم وتزخر كالبحر المتلاطم تنتشف ماءه وتكشف سماءه وتغنم طارفه وتلاده وتخرب أرضه وبلاده فيلوم نفسه حين لا يغني الملام ويستسلم ولا ينفعه الاستسلام. وبحسب هذا فإن ندعوكم إلى ما فيه إنشاء الله الخير العاجل والآجل والنجاح الذي هو بحول الله بعز الدارين شامل وهي طاعة الله ورسوله والجري على نهج الهدى وسبيله ثم مداينة الله بمفروض طاعتنا والدخول فيما دخلت فيه جماعة المسلمين من مبايعتنا والإئتمام بشريف إمامتنا...

فصل آخر منها:

... وإذا تقرر لديكم أن من البر اقتفاء أثر الآباء والجري في المآثر الجميلة على جادتهم البيضاء وأخبرتم أن جدّكم ابن ذي يزن أول من آمن بجدنا المصطفى صلى الله عليه وسلم وصدق وبشر جده شيبة الحمد بما من أمره الحكيم قد تحقق وأتحفه لذلك باجل التحف وخصه من بين عشيرته بمزية الفضل والشرف هذا والرسول صلى الله عليه وسلم لم يتفتق عن جوهره المكنون صدف الوجود ولا اعتمت بأنواره الساطعة الأغوار والنجود بل آمن به وهو عليه الصلاة والسلام حينئذ بستر الغيب محجوبا وصدق بنبوته وأمره لم يكن إلا في الكتب المنزلة مسطورا وفي اللوح مكتوبا فأحرى أن تؤمنوا أنتم بإتباع شرائعه صلى الله عليه وسلم التي هي بعد البعثة أوضح من شمس الظهيرة وأضوى من الكواكب المستنيرة وأمره صلى الله عليه وسلم قد لاح للعيان كالفلق وطلع طلوع البدر كالغسق وتأتموا بهذه الغمامة المقدسة التي عمت أنوارها مشارق الأرض ومغاربها وجابت جيوب البسيطة ومناكبها وتمتثلوا أوامره الشريفة في افترض الله لهذه الخلافة النبوية من السمع والطاعة والانخراط بمبايعتها في سلك الجماعة وتساجلوا جدكم في مثل هذا المضمار وتقتفوا أثره في الارتقاء إلى ذروة هذا المنار والاستضاءة بهذه الأنوار وتحرزوا ببركتها خير الدارين في الإيراد والإصدار وتنتظموا في سمط حزب الله الملحوظ بعين العناية والاعتبار...

---

(1) عبد الله كنون، المرجع نفسه، ص136- 139. و

P. Georges, Hespéris, op. cit, pp196,197

الملحق:3

رسالة مولاي أحمد المنصور إلى الشرفاء، وإلى القضاة، وإلى كل وجهاء فاس
يوم07شعبان999هـ/الموافق 31ماي1591م

الحمد لله وحده

من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين الشريف الحسني أيد الله بعزيز نصره أوامره وظهر عساكره واسعد موارده ومصادره وخلد مآثره ومباخره ووصل له مجد الدنيا بمجد الآخرة إلى الشرفاء والفقهاء وكافة الأعيان من أهل فاس أسمعكم الله من البشائر ما يملأ صدوركم ارتياحا ويغمر قلوبكم انشراحا ويوشع إرجاعكم وأكنافكم في ظل الآمنة انبساطا وانفساخا سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أما بعد حمد الله الذي شرف ملة الإسلام على الملل والدولة القريشية على سائر الدول وخصوصا هذه الدولة الكريمة المقدسة النبوية الفاطمية العلوية التي جعل الله بياض سيوفها الهاشمية، قاهرة لأعدائها الصفرية وعبيدها السودانية وصدع بأنوار خلافتها النبوية دجنة سواد طالما نعف غرابها منذ حام، ووصل بدعوتها الشريفة وشائح الأرحام بين سام وحام، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد الذي خففت إعلام هدايته على الربي والآكام، وكاثر بآيته كنهور السحاب ومنعجر الغمام، والرضا عن أهله خير ال، سادات الأفيال وأساد الاغيال خلفاء الإسلام ووراثة الأرض بالعدل وشرف الخلال، وأئمة الخلف الذين ذيلوا معالم النصر بالإكمال، وفتحوا الأقطار على التوال، وعن أصحابه الذين جاهدوا في الله حق جهاده بالسيوف والنصال، وواصلوا في إعزاز ملته ونصرة دينه البكر والآصال، ومواصلة الدعاء لهذا المقام العلى، الأمامي الفاطمي النبوي الأحمدي المنصور بنصر يشفع فتح السودان فتح السد وينظم الأقطار في سلك الانقياد انتظام العقد.

فانا كتبناه إليكم كتب الله لكم من البشائر أمتارها إلى النفوس متزاجا وأهداها إلى القلوب مسرة وابتهاجا وأقطعها في الآفاق سبلا وفجاجا وأرقاها إلى السبع الطباق سموا ومعراجا من حضرتنا العلية مراكش أحاطها الله ببراكة هذه الأمة الكريمة تستمد الأمطار من قياسها وتروي رواة الإفادة والإبادة عن ضحاكها وعباسها والفتوحات الربانية تحتمل الملائكة لولائمها وأعراسها فله الحمد على نعمه التي لا يحيط الوصف بانواعها وأجناسها وعنايته التي تضرب بعصاها الصخرة الصماء ممن عصاها فتبادر بانفلاقها وأنيحاسها لله المنة.

هذا وقد علمتم فسح الله أملكم وواصل أسباب الخيرات قبلكم ما كان من تجهيز عساكرنا المظفرة بالله تعالى إلى بلاد السودان لافتتاح القاسي منها بحول الله والدان وماركان من عظيم احتفالنا لذلك مما لم يعهد مثله ولا سلف لأولي الحزم من الملوك بعضه فكيف كله من انتقاء العساكر والأجناد وأسود الحرب الذين دربوا على الطعن والجلاد ومعانقة السيوف والصعاد من كل أبناء حرب شرق في انساب الوقائع جدهم ويرد الجموع الصحيحة إلى التكسير فردهم وإمدادهم بما لا يحصى عددا وكثرة وبما لا مزيد فوقه بسطة وقدرة من قوة الظهر وصواعق الحرب التي تفرق لها صروف الدهر وغير ذلك من كل ما يقتضيه الحزم ويبعث عليه العزم ولما تكامل بحمد الله هذا الاحتفال والاستعداد وأخذت أهبتها العساكر والأجناد أقلعوا في الألولة وصاروا على التعبية ونصر الله تعالى يظللهم غمامه وتخفق عن يمينهم وشمالهم أعلامه وتتراءى لهم عن ثنية الإقبال راياته ويبدوا لهم في كل حركة وسكون آياته بعز الله وتأييده هذا وإن يخفاكم ما سلف هنا بالمغرب من ممالك الإسلام والدول العظام فلم يكن أحد منهم ليروم فتح هذه البلاد بسيف أو تتطاول عنهم إلأى إغرائها باتائب بعث أو زحف أو يسموا أنفسهم

بالمقدرة عليها والعمود بجنودهم إليها والحالة أنهم أضخم ملكا وإعمالا وأفسح حطة ومجالا وأوفر نفعا وأحسن أحوالا مما كان يشغلهم وينفقون فيه أموالهم وأنفسهم ويستغرقون في معاناته طول أيامهم بكرهم وآصالهم وما ذلك إلا لعجزهم عن مقاومتها وعلمهم من أنفسهم عدم القدرة على مصادمتها وأنها عند جميعهم غيل لا يزحم وفريسة لا تقتحم وعجماء أبية لا تنقاد وحسناء عادت بينها عواد والعنقاء تكبرأن تصاد لأن البلاد كما علمتم قد توغلت للجنوب إلى أبعد الأقاليم والمعمورة وأعترضت دونها القفر وسرابه المتموج الجور وصحاري تظل القطا في مهامها الفيح وتكل من جنوب عرضها بل بعضها نوافح الريح كم أغتال من أمم غولها وتردّت من حرّ الأوام وعولها وكم أفنت من خلق جيلا فجيلا وألفت على الرحال وأهلها كتبا مهيلا تغلي رمضائها الرؤوس وتذوب من حميمها النفوس وتنزل على الهام شمسها حتى تكاد تلمس باليد وتشتبه على الخريت اليوم بالغد لا ماء ولا شجر ولا ورد ولا صدر الأسرابا يغشى العيون ويغرب المنون وأجاج يمد يغلي في البطون كغلي الحميم وهو أجرا يصلى الناس من حرّها نار الجحيم حتى ظنّ لذلك أهل السودان أن سربهم من أجل البعد والمفاوز المعترفة دونها لا يراع وليلهم الدجوج لا يرجى لجره انصداع محلهم من هذه المشاق لا يستطاع وبلادهم حتى بالوهم لا تراع .

فاستخرنا الله الذي لا يخيب من توكّل عليه ولجأ في عظائم الأمور إليه واحتفلنا لذلك بما يليق له من الأهبة والاستعداد وبنينا الأمر بالثقة على أوثق عماد فجهزاه من جنود الله تلقاهم عساكر تحمل إلا... والنار وأسود تانج الدنيا والعار فخاض إليهم بحار الأل وصابرو في قطع البلاد المشفة عظائم الأهوال ولما شارفوا البلاد وهم على ما كانوا عليه من شدّة الحزام وسل الحسام لم تضعف لهم والحمد لله شدّة ولا نقص منهم ما كابدوا من المشاق عددا ولا عدّة زحف الشقي بكافة جموع السوداء وحشرها وشد الأفق منهم حنادس واقبلوا إقبال الليل الداس فالتقى الجمعان على ثلاث مراحل من كاغوا فأحدق منهم بعساكرنا المؤيدة بالله سواد لايحصيه إلا محصي الخطرات والأنفاس وما أحاط علمه بالأنواع والأجناس فدارت رحى الحرب ووفقت على ساق وأرعدت رعود نارنا فرجت من صعقتها الآفاق فثبت إلا سفياء لزلزالها كالجبال وصابرو حرّ الفراغ والنزال لاتثنيهم صوارم ولا أسل ولا يستفزهم الخوف والوجل يتهافتون على النار من كل جانب تهاتف الفراف على الذبال ويتسابقون لمعانقة السيوف والصعاء تسابق الجياد في المجال مع كثرتعم التي تذكر بالحشر الثاني حشرها الأول ومغالبتهم لذلك كانت من قبيل المحال لو لا الثقة بالله سبحانه وعونه الذي لراياتنا الهاشمية حليف في الورد والصدر فانكشف الشفى وجموعه وولو الأدبار وركبتهم ألالأسنة والشفار وفضتهم جنود الله فضا يهزّ الجبال زلزاله وتشيب النواطير أهواله واستحر القتال في الاشقياء وتركتهم سيوفنا العلويية حصيدا بالعراء ونفل الله الله عساكرنا ذلك السواد وكفل الفتح بحمد الله بالإستلاء على البلاد وانتظام ممالكها في سلك الطاعة والانقياد والعاقبة للمتقين والحمد لله حمد الشاكرين ولمّا إستوى القدم بعساكرنا وقرها الله في البلاد اصيحوا في دنيا عريضة لاتقي العبارة لها بكنه ولا تعارض من بلاد الله بشبه ولا نظيرلها في الأرضين بوجه ما شئت من ممالك متعددة الأقطار متنوعة الأوطان والأوكار جمة المرافق والفوائد ومالوا الوافد والرايد لا تحد بغاية ولا تدرك لها نهاية محشر الأمم وبستان العالم ومدرج الذر من بني آدم وملكها ضخم لا تدركه الهمم ولولا عناية الله التي لا تقاوم وناهيك بممالك يخترقها بحر النيل نهر الجنة ومدفع مياه الرحمة تسقيهم النهل والعلل بجنة ويجبى إليهم الثمرات والخيرات تجيبه إلى أسواق تزخر بالنعم واتصال عمران كالعقد المنظم وبالجملة فهي غريبة لا تثبت إلا في الحلم وموهبة لا يفي شكرها لسان ولا يحيط بوصفها قلم وما عسى أن تبلغ العبارة فالملك أضخم والحال أجل وأعظم ولقد اجتمعت اليوم بحمد الله بانتظام هذه الممالك كلمة الإسلام وسيسمو

بحول الله الأمر إلى درجة الكمال الذي دلّ منه حسن الابتداء على حسن الختام ولم يبق بحول الله إلا صرف العزائم إلى جهاد العدّو الكافر وأن تدور عليه بحول الله من سطى الغسلام الدواير حتى تغزوه جنود الله في عقر دياره ومحل قراره ويعلوا أحزب الهدى على حزب الشيطان وأنصاره بعز الله وجلاله.

ولمّا طلعت علينا بهذا الفتح العظيم طلايع البشرى والمسرة الكبرى بادرنا تعريفكم بصنع الله فيه السني الغريب وأعلامكم بحديثه الحسي الغريب لتقدروا صنع الله فيه حق قدره وتعلنوا بحمد الله سبحانه وتعالى على هذا المنّ الجسيم وشكره فإنه فتح لم تلد مثله الايام ولا عهد فيما سلف من دول الإسلام ولا علم نظيره فيما تقادم من الإعصار ومضى من الأعمار بما جمع من هذه الممالك العظيمة التي لم يشتمل عليها ملك ولا نظمها سلك وأن خبيئته في طي الصدور السالفة إلى هذه المدّة الكريمة والدولة الجليلة العظيمة لدليل على عناية الله بشأنها بما أظهر على يدها من خوارق العادة وجمع على عهدها الكريم من هذه الممالك المنتظمة في سلك الانقياد انتظام القلادة فاشكروا الله على هذه المفاخرة التي ادخرها لعصرنا وأظهر بها آية أنجادنا على الأعادي ونصرنا واغتبطوا بما خولكم الله من هذه البشرى والمسرة الكبرى أتم اغتباط وخذوا بحظكم فيها من السرور والانبساط واتخذوا يومها الأعز المجمل عيدا ومهرجانا وأقيموا من البسط سوقا نافقة سرا وإعلانا واستشعروا عاقبة هذا الفتح العظيم فهو بكل خير شامل إن شاء الله كفيل وعلى ما وراءه من الفتوح المتوالية عنوان ودليل وقيدوا نعم الله تعالى لديكم بالشكر فهولها عقال وعصمة تعصم بحول الله من الزوال والله تعالى يصل توفيقكم ويسدد إلى الخيرات طريقكم ومعاد السلام ورحمة الله وبركاته عليكم في يوم السبت 08 شعبان 999هـ انتهى.(1)

---

(1) H. Decastries, Hesperis, op. cit, p p478 - 482.

الفشتالي، المصدر السابق، ص143-146.

قائمة المصادر والمراجع

أ – المصـــادر:

1- ابن بطوطة عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي، **تحفة النظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلته)**، ط1 ،الدار البيضاء، المغرب، 2006م.

2- ابن حوقل أبو القاسم النصيبي، **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.

3- ابن الخطيب محمد لسان الدين، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، صححه البشير الفورتي، ط 1، مطبعة التقدم الإسلامية، تونس، بدون تاريخ.

4- ابن خلدون عبد الرحمان، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**،ج7، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1983م، ج6.

5- ابن القاضي أبي العباس بن محمد المكناسي، **درة الحجال في أسماء الرجال**، 4ج تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، ط 1، دار النصر للطباعة، تونس، 1970م، ج1.

6- ابن سعيد أبو الحسن عي بن موسى المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تحقيـــق إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.

7- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج، تحقيق ليفي بروفنسان، ط3، الدار العربية للكتاب، المغرب، 1983م، ج1.

8- الإدريسي أبو عبد الله الشريف، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مجلدات، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، بدون تاريخ، المجلد01.

9- الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، دار القلم مصر، 1961م.

10- البرتلي الولاتي أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق، **فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور**، تحقيق محمد حجي و محمد إبراهيم الكتاني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

11- البكري أبو عبيد الله، **المسالك والممالك**، تحقيق أندريان فان اليوفن و وأندري فيري الدار العربية للكتاب، تونس، 1992م، ج 1-2.

12- البغدادي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، **معجم البلدان** 5ج، بيروت، 1977م، ج2.

13- التنبكتي أحمد بابا، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، 2ج، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م، ج1.

14- الزياني أبو القاسم، **جمهرة التيجان وفهرسة الياقوت واللؤلؤ والمرجان في ذكر الملوك وأشياخ السلطان المولى سليمان**، تحقيق محمد بيضون، بيروت، 2003م.

15- كعت محمود، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تحقيق هوداس، باريس، 1964 م.

16- مارمول كاربخال، **إفـــريقيا**،3ج، ترجمة محمد حجي وآخرون، الرباط 1988م،ج3.

17- مجهول، **تأريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمادرية**، نشره جورج كولان مطبوعات معهد العلوم العليا المغربية، 1934م.

18- مجهول، **تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان**، تحقيق هوداس، باريس 1899م.

19- المراكشي عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العربان، القاهرة، 1963م.

20- الفشتالي أبي فارس عبد العزيز، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا**، تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية، الرباط، 1972م.

21- السلاوي أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى**، 15ج تحقيق أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، المغرب، 2001م، ج5.

22- السعدي عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، تحقيق هوداس، باريس ،1964م.

23- الوزان الحسن بن محمد(ليون الإفريقي)، **وصف إفريقيا**، 2ج، ط2، تحقيق محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ،1983م، ج2.

24- الوفراني المراكشي محمد الصغير بن الحاج، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، تحقيق هوداس، أنجي، 1888م.

25- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق محمد صادق، دار العراق، بيروت،1955م.

ب - المراجع بالعربية:

26- إبراهيمي ك، **تمهيد حول ما قبل التاريخ في الجزائر**، ترجمة محمد البشير شنيتي ورشيد بورويبة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

27- الأرواني مولاي أحمد بابير، **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية** تحقيق الهادي المبروك الدالي، ط 1، ليبيا، 2001م.

28- بن خروف عمار، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن 10هـ/16م** ج1، دار الأمل، الجزائر، 2006م.

29- بوعزيز يحي، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى مطلع القرن20م**، دار هومة، الجزائر، 2001م.

30- التازي عبد الهادي، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** 10مجلدات، المغرب، 1988م، المجلد الثامن، خاص بالدولة السعدية.

31- تودورف تزفيات، **فتح أمريكا مسألة الآخر**، ترجمة بشير السباعي، ط1، القاهرة 1992م.

32- جلال يحي، **المغرب الكبير "عصور حديثة وهجوم الاستعمار"**، دار النهضة بيروت 1981م.

33- حداد جورج و بسام كرد علي، **مختصر تاريخ الحضارة العربية في الأزمنة الحديثة** ط2، دمشق، بدون تاريخ.

34- حسن أحمد محمود، **الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا**، دار الفكر العربي، القاهرة 2001م.

35- الدالي الهادي المبروك، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا ما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 م إلى بداية القرن18م**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1998م.

36- دافيدسن بازل، **إفريقيا تحت أضواء جديدة**، ترجمة جمال أحمد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

37- دندش عصمت عبد اللطيف، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا (1038-1121م)**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

38- دياب أحمد إبراهيم ، **لمحات من التاريخ الإفريقي**، المكتبة العربية السعودية الرياض، ط1، 1981م.

39- رزوق محمد، **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 17/16م**، ط 3 إفريقيا الشرق، الرباط، 1998م.

40- زبادية عبد القادر، **مملكة سنغاي على عهد الأسقيين (1591/1493)**، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر، بدون تاريخ.

41- ________، **الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء (دراسات ونصوص)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م.

42- زكي عبد الرحمان، **تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية**، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 1961م.

43- كنون عبد الله، **رسائل سعدية**، دار الطباعة المغربية، المغرب، 1954م.

44- مؤنس حسين، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي**، 2مجلّد، ط1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992م.

45- الميلي مبارك محمد الهيلالي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، 3ج، الجزائر 1976م، ج3.

46- العربي إسماعيل، **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر 1982م.

47- فرج محمد فرج، **إقليم توات خلال القرنين 19/18م**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1977م.

48- فيج جي دي، **تاريخ غرب إفريقيا**، ترجمة السيد يوسف نصر، ط 1، القاهرة 1982م.

49- فيشر هربرت، **أصول التاريخ الأوروبي الحديث**، ترجمة زينب عصمت راشد و عبد الرحيم مصطفى، دار المعارف، القاهرة، 1970م.

50- سليجمان س ج، **السلالات البشرية في إفريقيا**، ترجمة يوسف خليل، القاهرة 1959م.

51- شوقي أبو خليل، **معركة وادي المخازن**، ط 1، دار الفكر، بيروت، 1988م.

52- هوبكنز.أ . ج، **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية**، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، القاهرة، 1998م.

Les ouvrages: ج - المراجع بالأجنبية:

53- A-Zouber Mahmoud, **Ahmad baba de Tombouctou 1556-1627, sa vie et son œuvre**, Maisonneuve et Larose Paris, 1977.

54- Barth Henri, **Voyages et découvertes dans l'Afrique septentrionale et centrale**, Vol 3,1860.

55- Canale Jean suret, **Afrique noire occidentale et centrale**, paris, 1964.

56- Cissoko Sékéné mody, **Tombouctou et l'empire songhay épanouissements du soudan nigérien au 15et 16 siècles** les nouvelles édition africaines, Dakar, 1975.

57- ——————————, **Histoire de l'Afrique occidentale moyen-âge et temps modernes(07siècle, 1850)**, présence africaine, paris, 1966.

58- Delafosse Maurice, **Haut – Sénégal – Niger**, 03 Tome Maisonneuve et larose, paris, T02

59- Deshamps Hubert, **l'Afrique noire précoloniale**, Presse Universitaire de France, 1962.

60- ——————————, **Histoire générale de l'Afrique noire** 2Tomes, presses universitaires de France, paris, 1970,T1: des origines à 1800.

61- Donaint Pierre et François Lancrenon, **Le Niger**, paris, 1972.

62- Dramani Issofou Zakari, L'Afrique noire dans les relations internationales au16 siecle analyse de la crise le Maroc et le songhaï, paris, 1982,

63- Dubois Félix, **Tombouctou La Mystérieuse**, paris, 1897.

64- Faidherbe Louis, **Le Sénégal La France dans L'Afrique occidentale**, paris, 1889.

65- Gouilly Alphonse, **L'islam dans l'afriaue occidentale française**, édition larose, paris, 1952.

66- Hama Boubou, **Histoire des songhay**, présence africaine sd.

67- Hans Mukarovsky, **Afrique d'hier et d' aujourd'hui**, trad de L'allemand par Sumonne Hutin, Casterman, 1964.

68- Jacques maquet, **les civilisations noires**, Belgique 1966.

69- Ki-Zerbo Joseph, **Histoire de L'Afrique noire**, paris, 1972.

70- Mauny Raymond, Recueil des sources arabes concernant, trad Joseph cuoq, paris, Sd

71- miége Jean-Louis, **Le Maroc**, le presse universitaires de France, paris, 1966.

72- naime Tamsir Djibril, **Histoire de l'Afrique occidentale** présence africaine, paris, 1961.

73- Slimane Chikh ………….. AL, **Le Maghreb et l' Afrique subsaharienne**, paris, 1980.

74- Trimingham J spencer, **History of Islam in Africa**, oxford, London, 1963.

د – المجلات (المقالات):

أولا. بالعربية:

75- رزوق محمد، "العلاقات العربية الإفريقية في القرن 16م"، **مجلة البحوث التاريخية مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي**، عدد 2، سنة 7، 1985م.

76- الكيلالي شمس الدين، "الإسلام و أوروبا في القرن 16م" الحرب والتجارة"، **مجلة الاجتهاد**، عدد 36، سنة 9، دار الاجتهاد، بيروت، 1997م

77- مزين محمد، "المغرب وبلاد السودان خلال القرنين 16 و 17 الميلاديين"، **مجلة المؤرخ العربي**، العدد31(عدد خاص بإفريقيا)، السنة 13، الأمانة العامة لإتحاد المؤرخين العرب بغداد، 1987م.

ثانيا. بالأجنبية:

78- De.Castries.H, La conquête du soudan par EL-MANSOUR 1591, **revue Hespéris**,T3,1923.

79- Delafosse Maurice, les relations du maroc avec les Soudan a travers les àges , **revue Hésperis** , T 4 , 2 trimestere , paris , 1924 .

80- Georege Pianel, Les préliminaires de la conquête du soudan par Moulay AHMED ALMANSUR, **revue Hesperis**,
T6, 1953.

81- Iroko Abiola Félix, Motivations psychologiques et religieuses de la conquête de Gao par le Maroc en 1591 **le Mois en Afrique**, N° 221-222, jui 1984.

هـ – الموسوعات، المعاجم، الدوائر:

82- البستاني بطرس، **دائرة المعارف**، بيروت، 1986، مج6، مادة تنبكت.

83- الغنيمي عبد الفتاح، **موسوعة تاريخ المغرب العربي**، ج، ط1، مكتبة مدبولي القاهرة، 1994م ج5،6.

84- سعيدوني ناصر الدين، أحمد المنصور الذهبي، **معجم مشاهير المغاربة**، جامعة الجزائر، 1995م.

85- سيسوكو سيكيني مودي ، السنغاي بين القرن 12 و 16 م، **تاريخ إفريقيا العام** اليونسكو المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988م.

86- شلبي أحمد، **موسوعة التاريخ الإسلامي**، 6 ج، " الإسلام والدول الإسلامية جنوب الصحراء منذ دخلها الإسلام حتى الآن "، ط 6، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ج 6.

و – الرسائل الجامعية:

87- شعباني نور الدين، **علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية بين القرنين (9و10هـ) / (15و16م)** ، رسالة ماجستير بقسم التاريخ(غير منشورة) ، جامعة الجزائر ،2005/2006م.

88- Sabeur cherif Khaled, **L' ASKIA MOHAMMED sa vie son œuvre**, Mémoire de D.R.E.A(option civilisation africaine) Université Sorbonne Nouvelle, paris-3, 1982/1983.

الفهارس

أولا: فهرس الأعلام

ثانيا: فهرس القبائل والأماكن والبلدان

ثالثا: فهرس المحتوى

فهـــرس الأعـــلام

ـ أ ـ

ابراهيم بن عبد الكريم الجرّاري 69
ابراهيم بن أحمد بغبغ 106
ابن بطوطة 13
ابن حوقل 26،12
ابن خلدون 12
أبو عبد الله محمد بت يحي 37
أبو غنيث العمري 40
أبو فارس بن أحمد المنصور 104
أحمد الأعرج 31،29
أحمد بابا التنبكتـــي 90،89،77،12،11 104،102
أحمد بن إيد 39
أحمد بن حدّ 97،69
أحمد الحروسي الأندلسي 40
أحمد بن الحداد العمري 79،52،40
أحمد بن سعيد 100
أحمد بن عطية 52،40
أحمد بن علي التلمساني 97،69
أحمد بن يوسف 68،40
أحمد المنصور الذهبي 13،12،11،8 53،51،46،44،40،39،37،34،30 101،99،91،86،83،79،77،55 115،109
الإدريسي 26
إسحاق الأوّل 83،29،21
إسحاق الثاني 42،37،34،29،22،21 78،54،53،52،44،43
إسماعيل 82،21
الإصطخري 26،12
آل أقيت 105،47

ـ ب ـ

بابا عمران 106
باحسن العلجي 40
البكري 26،12
البكري أبي الحسن 37
البرتلي الولاتي 11
بوشيبة العمري 40

ـ ج ـ

جنكي 94
جودر 64،55،46،44،43،39،12،9 110،109،99،96،89،80،77،68

ـ ح ـ

حدّ بن يوسف 97،69
حمد أمنة 85،84
حمد بلل 86
حمد فاطمة 85
حمد عائشة 84
حمّ بن علي الدرعي 69
حمّو بن بركة 51
حميد بن عبد الرّحمان 86،83،69

ـ د ـ

داوود 82،66،65،36،29،22،21

ـ ز ـ

زيدان بن أحمد المنصور 105،61

ـ ك ـ

كعت محمود 102،46،34،25،21،11 105،103

ـ م ـ

مامي بارون 96،84،83،77

محمد الأمين القاضي محمد 106
محمد بن أحمد بن سعدون 69
محمد بن أحمد بن سعود الشاطبي 97
محمد بن أحمد القاضي محمد بن أبي بكر الونكري التنبكتي 106
محمد بن أحمد الماسي 69
محمد بن إيد 39،91،100
محمد بن داود 82
محمد بن محمد كري 101
محمد الثاني 21،22،36
محمد الثالث 21
محمد الرابع 21،85
محمد بن موسى 69
محمد بن عثمان 69،85،97
محمد بنكن 65،82
محمد طابع 68،80،96
محمد الكبير 17،18،21،22،23،65
محمد كاغ 21،53،54،55،57،65،78
محمد الشيخ 29،61
محمد الشطوكي بوي 61،70،97
محمد وديعة الله 100
محمد بن أحمد 70،87،92،99،100
محمود بن أحمد الونكري 1
محمود بن الإمام أحمد 70
محمود بن الإمام صديق 100
محمود بن زرقون 12،44،46،51،52،53،54،55،60،65،68،77،78،79،86،89،90،91،96،99،100
محمود لنك 66،68،80،100
المكناسي أبي العبّاس 57
منصور القائد 79،80،96
مسعود بن منصور 69،82
مصطفى بن عسكر 40
مصطفى التركي 40،77،83،84

— ن —

نوح 56،66،74،77،78،79،80

— ع —

العبّاس 58،61
عبد الرّحمان 69
عبد الرحمان بن حمد المجتهد 106
عبد الرحمان عيسى بن سليمان البربوشي 86
عبد الرحمان بن الفقيه محمود بن عمر 101
عبد الرّحمان بن الفقيه أحمد معيا 100
عبد الرحمان بن السيّد علي بن عبد الرحمان 106
عبد الملك 61
عبد السلام بن محمد كد الفلاني 100
عثمان دان فوديو 113
علي بن مصطفى العلجي 40
علي بن المبارك الماسي 69
علي بن عبد الله التلمساني 60،68،80،82
علي بن عبد القادر 69،82،84،86،97،101
عمّار 40،68،80،97
عمر بن محمد أقيت 39،89

— ف —

الفشتالي عبد العزيز 11،39،56،99

— ق —

قاسم الأندلسي 40
القرافي بدر الدّين 37

ـ س ـ

السلاوي ناصر الدّين 12
سليمان 53،65،68،80،96
سنتاعون الهادي الوداني 101
السعدي عبد الرحمان 8،10،23،34،
59،75،85،96،102،104،105
سعود بن أحمد 69
سعيد بابا بن محمد الأمين بن حبيب الله
106
سعيد بن علي 69
سيّد بن أحمد إيد 100
سيد علي بن عبد الله 100
سونديياتاكيتا 17

ـ ش ـ

الشيظمي أبي العبّاس 57

ـ هـ ـ

هنري الملاّح 31
الهوزائي 57

ـ و ـ

الوزان الحسن 13،15
ولد كرنفل 35

ـ ي ـ

يحيى بن محمد 69،87
يوحنّا 31
يوسف بن عمر القصري 69،97

:

فهرس القبائل والأماكن والبلدان

ـــ أ ـــ

الأرما 10،11،59،61،112
أل سني 17،57
الأمين القائد عامر(مسجد) 101
الأندلس 35،57،74،91
الإسبان 32،33،34
الأسكيين 9،10،11،13،18،22،30
32،33،34،36،37،43،44،51،53
56،57،58،64،70،74،103،104
107
أوداغست 16

ـــ ب ـــ

بامانا 112
باني 112
البرابيش 9،83،86،87،112،113
،116
البرتغال 32،35
برنو 62،74
بنب 52،75،87
بنبر 24،84،85
بامبوك 35
بينا 63

ـــ ت ـــ

تارودانت 26
تادمكت 87
تاوديني 27،30،43
التكرور 58،62،103
تنبكت 10،11،17،18،25،22،26
32،40،42،44،48،52،58،59،60
64،65،66،70،75،77،78،79،80
82،83،84،86،89،90،96،99
101،103،105،110،111،112
115،116
تندوف 44
تنديبي 43،44
تشاد 7،15،16،17،86
تغاز 18،27،28،29،30،36،38،43
115
تغاز الغزلان 29
توات 30،36،41،51،86
تيكورارين 30،41،51

ـــ ج ـــ

جامع الكبير 100
جني 24،60،61،63،64،70،75
77،78،84،85،92،96،99،102
115

ـــ ح ـــ

الحجر 79،80،83،86،87

ـــ د ـــ

درعة 29،43
دندي 63،64،66،74،78،80،82
83،86
دوري 82

ـــ ر ـــ

الرّأس الأخضر 31،23
رأس الماء 23،83

ـــ ز ـــ

الزغرانيون 24،83،84،87،90

— ط —
طرابلس 113
الطوارق 9،29،44،83،86،112
113،116
— ك —
كابارا 43
كانو 62،63
كبي 79
كمبي صالح 16،17
كوكيا 18،55،63
كيكي 85
كوكي102
كانجا 112
كارتا 113
— ل —
لاكتور 43
— م —
مالي 16،17،27،28،57،85،16
ماسينا 60،64،84،85،98،101
الماندينغ 17
المرابطين 16،17،39،117
مراكش 9،12،28،31،37،43،56
60،61،66،68،74،77،79،83،91
97
المرينية 38
المغرب 13،14،18،25،26،27،28
29،33،34،36،58،59،60،61،62
102،112،113،115
الموحدين 38
موريتانيا 15،27،30
الموسي 99
— ن —
نسونغو 63
النيجر 8،15،16،22،28،31،43،44
48،56،60،61،62،86،102،112
113،115
النيل 32،56
— ص —
الصبايحية 41
الصحراء 15،27،28،34،51،86
107،108،110،112،113،117
— ض —
ضياء 17
— ع —
العلوج 78،91
العلوية 61،93
— غ —
غانا 9،16،35،57،119
غاو(كاغ) 18،26،28،36،37،44
45،52،60،64،75،77،79،80،87
96،113،115،117
الغدامسيون 64
غرناطة 41
غمبيا 15
غونجيا 63
غينيا 31
— ف —
فاس 27،37،74،91
الفولان 9،25،83،86،87،113،116
— س —
سجلماسة 26

سنكري(مسجد) 90،98،101،10
105
السنغال 7،8،9،15،30،31،32،102
سنغاي 87،،13،17،18،22،23،24
25،33،34،35،36،37،40،44،48
53،57،62،63،65،66،83،84
104،115،116
السعدية 11،12،18،25،35،38،58
59،60،62،63،64،70،74،112
115،116،117
السودان 6،7،8،11،12،13،14،15
16،18،21،23،24،25،26،27،28
30،31،34،36،37،39،40،41،43
44،47،48،51،55،56،57،58،61
69،74،77،79،89،91،96،98
101،102،103،104،108،109
السودان النيجيري 7،8،9،10،17،18
48،57،58،59،60،62،64،66،68
70،74،75،78،89،97،98،102
107،108،112،113،115،116
117
سوكوتو 11،113
سيد يحيى (مسجد) 100
سيغو 112،113

ـ ش ـ

الشرفاء (مسجد) 105
الشراقة 91

ـ هـ ـ

الهناء(مسجد) 101
هنبر 63،79،80،82
الهند 35

ـ و ـ

واد المخازن 33،36،56
الوطاسية 27،39
ونقارة 36
ودان 35

فهرس المحتوى العام

- إهداء ....

- شكر وعرفان ....

- مقدّمة 14-6

- تمهيد 18-15

الفصل الأول: الحملة المغربية السعدية على بلاد السودان

1- ظروف الحملة المغربية السعدية على بلاد السودان(إمبراطورية سنغاي)......25-21

أ- أوضاع بلاد السودان قبيل الحملة: 21

- الأوضاع السياسية.............................21

- الأوضاع الدينية..............................23

- الأوضاع العامة..............................24

ب- العلاقات المغربية ببلاد السودان: 25

- العلاقات قبل الدولة السعدية.............................25

- اهتمام السعديين ببلاد السودان(معظلة تغاز)..........28

ج- التأثيرات الخارجية الأوروبية 31

د- أسباب الحملة: 33

- الدوافع الدينية 34

- الدوافع الاقتصادية.............................36

- الدافع المباشر..............................36

2- الإرهاصات الأولى للحملة 48-37

أ- التحضير للحملة..39

ب- تشكيلة الحملة...41
ج- وصول الحملة لبلاد السودان...43
- خريطة 1 46
د- موقف السودانيين ونظرتهم من الحملة...47

الفصل الثاني: التحولات السياسية المغربية بلاد السودان النيجيري

1- نهاية إمبراطورية سنغاي: 51-57
أ- وصول محمود بن زرقون لبلاد السودان..51
ب- ملاحقته للأسكيا إسحاق الثاني...52
ج- الأسكيا محمد كاغ 53
- إعدام محمد كاغ........................ 54
- أسباب قتله 55
د- استقبال السلطان السعدي لخبر نجاح الحملة 56
هـ- نهاية عصر الإمبراطوريات بالسودان النيجيري 57
2- الحكم المغربي السعدي ببلاد السودان بعد الأسكيين: 58-71
أ- المراحل السياسية الكبرى للحكم المغربي ببلاد السودان 59
- الفترة الأولى(1591-1612م) 59
- الفترة الثانية(1612-1660م.....................60
ب- التنظيمات الإدارية 62
- التقسيمات الإدارية - الحدود العامة 62
- خريطة 2...........................64
- المراكز الرئيسية 65

- الإدارة المغربية بالمنطقة ـ التركيبة القديمة 66

ـ التركيبة الجديدة....................67

- مخطط للإدارة المغربية ببلاد السودان 71

الفصل الثالث: الأوضاع العسكرية ببلاد السودان النيجيري

1- الجيش: 74-77

أ- وحدات الجيش وأسلحته.. 74

ب- الإمدادات العسكرية..75

- جدول للإمدادات العسكرية المغربية ببلاد السودان...............76

ج- بيعة المراكز الرئيسية(غاو، تنبكت، جني)...77

2- مقاومة مملكة دندي للسيادة المغربية بالسودان النيجيري:......................78-82

أ- الباشا محمود بن زرقون والأسكيا نوح..78

ب- صراع القائد منصور مع جيش دندي...80

- خريطة 3 81

ج- معركة 1612م..82

3- الصراع مع القوة السياسية الثانية بالمنطقة(الطوارق، الفولان، البرابيش):...83-88

أ- هجوم الطوارق على تنبكت..83

ب- الصراع مع ماسنا(الفولان)..84

ج- البرابيش..86

د- هجرات وتمرّدات(الفولان، الطوارق والبرابيش)...86

- خريطة 4 88

4- أهم الأحداث الداخلية(1591-1660م):..89-93

أ- قضية الفقهاء...89

ب- الاضطرابات والتمرّدات، أسبابها وإخمادها.......................................92

- خريطة 5 93

الفصل الرابع: مآثر السيادة المغربية السعدية بالبلاد السودانية

1- السياسة الباشوية بالبلاد السودانية(1591-1660م): 96-97

أ- الفترة الأولى(1591-1612م)..96

ب- الفترة الثانية(1612-1660م)...97

2- المآثر الدينية(انتشار الإسلام):...98-102

أ- القضاة بمدينة تنبكت.. 100

ب- الأئمة بمدينة تنبكت: - الجامع الكبير - مسجد سيدي يحي - مسجد سنكري.............100

ج- بناء المساجد...101

3- المآثر الثقافية:..102-107

أ- حركة التأليف...102

ب- التعليم...105

ج- العلماء...106

4- المآثر الاقتصادية:...107-111

أ- الزراعة...107

ب- الصناعة..108

ج- الآثار التجارية ومعدن الذهب:...108

- جدول إحصائيات لما وصل السلطان من بلاد السودان.......109

- التنظيمات التجارية...110

5- السودان النيجيري في الفترة(1660-1893م):.............................112-113

- خريطة 6 114

- خلاصة الموضوع:..115-118

- الملاحق: 119-125

- قائمة المصادر والمراجع:..126-134

- الفهارس: 135-146

- فهرس الأعلام:... 136-138

- فهرس القبائل والأماكن والمناطق:....................139-141

- فهرس المحتوى العام:..................................142-146